دلالات سورة البروج

في ضوء علم اللغة النفسي

إعـداد

دكتورة/ صابرين محمد محمد محمود علي

مدرس بقسم أصول اللغة

في كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات ببني سويف

١٤٤٦ هـ- ٢٠٢٥م

" دلالات سورة البروج في ضوء علم اللغة النفسي "

صابرين محمد محمد محمود علي

قسم أصول اللغة- كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات - ببني سويف – جامعة الأزهر- جمهورية مصر العربية.

البريد الإلكتروني:

malekabeed8@gmail.com

الملخص

تستهدف هذه الدراسة الخوض في غمار علم اللغة النفسي عن طريق تحليل سورة البروج من خلاله كاشفة عن أهم الدلالات الصوتية والصرفية والتركيبية التي تتعانق وتتكاتف في كشف اللثام عن المعنىٰ المراد من هذه السورة الكريمة، وقد كشفت هذه الدراسة عن جانب من جوانب إعجاز القرآن الكريم وهو الإعجاز النفسي؛ فالقرآن الكريم يؤثر في نفوس مستمعيه وهو مشحون في سوره وآياته بالكثير من الدلالات النفسية والعاطفية، وقد زخرت سورة البروج بالعديد من الدلالات الصوتية والصرفية والتركيبية التي لها أبعاد ودلالات نفسية عميقة؛ مما يعكس أثر الخطاب القرآني علىٰ الأسماع، وتأثيره في القلوب بما تحمله السورة الكريمة من دلالات وبشريات إيمانية تثبت قلب النبي-ﷺ- وقلوب المؤمنين.

وتعد الدلالة النفسية من أهم الدلالات التي يمكن استنباطها من الكلام ولا يمكن تجاوزها عند البحث عن دلالة الألفاظ، حيث تنعكس المعاني النفسية بصورة واضحة تجاه الألفاظ، وقد جعلت عنوان هذه الدراسة " دلالات سورة البروج في ضوء علم اللغة النفسي "واعتمدت فيها علىٰ المنهج الوصفي التحليلي لنصوص السورة الكريمة لبيان ما تحمله من دلالات صوتية وصرفية وتركيبية وبيان الأبعاد النفسية التي تختبئ خلف هذه الدلالات اللغوية المختلفة، ولتحقيق ذلك قسمت البحث إلىٰ

مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصل إليها البحث والتي كان من بينها: أن الهدي القرآني من خلال سورة البروج قد وظف كافة الوسائل اللغوية المتنوعة من أصوات ومبان وتراكيب مختلفة؛ لتحقيق منهجه في التأثير النفسي علىٰ الأسماع والقلوب مما يعكس جانبًا من جوانب إعجازه في اللغة التي نزل بها.

الكلمات المفتاحية:

الدلالة- سورة - البروج- علم اللغة – النفسي.

The Implications of Surat Al-Buruj in Light of Psycholinguistics

Sabreen Mohamed Mohamed Mahmoud Ali

Department of Linguistics، Faculty of Islamic and Arabic Studies for Girls، Beni Suef، Al-Azhar University، Arab Republic of Egypt.

Email: malekabeed8@gmail.com

Abstract:

This study aims to delve into the realm of psycholinguistics by analyzing Surah Al-Buruj، revealing the most important phonetic، morphological، and syntactic connotations that intertwine and combine to reveal the intended meaning of this noble surah. This study has revealed an aspect of the miraculous nature of the Holy Quran: its psychological miraculous nature. The Holy Quran influences the souls of its listeners، and its surahs and verses are filled with many psychological and emotional connotations. Surat Al-Buruj is replete with numerous phonetic، morphological، and syntactic connotations that have profound psychological dimensions and implications، reflecting the impact of the Qur'anic discourse on the ears and its influence on the hearts، as the noble surah carries connotations and good tidings of faith that strengthen the heart of the Prophet (peace be upon him) and the hearts of the believers. Psychological connotation is one of the most important connotations that can be derived from speech and cannot be ignored when searching for the connotation of words، as psychological meanings are clearly reflected in words. I have made the title of this study "The Connotations of Surat Al-Buruj in the Light of Psycholinguistics" and I relied on the descriptive analytical approach of the texts of the Holy Surah to show what they carry of phonetic، morphological and syntactic connotations and to show the psychological dimensions that are hidden behind these

different linguistic connotations. To achieve this، I divided the research into an introduction، a preface، three chapters، and a conclusion that included the most important results reached by the research، among which were: that the Quranic guidance through Surat Al-Buruj employed all the diverse linguistic means of sounds، structures، and different structures; to achieve its method of psychological impact on the ears and hearts، which reflects an aspect of the aspects of its miraculous nature in the language in which it was revealed.

Keywords:

Semantics - Surah Al-Buruj -Psycholinguistics

مقدمة

الحمدُ لله فاتح كل خير، وتمام كل نعمة، أحمده ﷻ حمدًا طيبًا مباركًا فيه، وأصلي وأسلم علىٰ سيدنا محمد، أفصح العرب لسانًا، وأبينهم حجة، وأقومهم عبارة، وأرشدهم سبيلا، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحابته أجمعين.

وبعد...

فإن القرآن الكريم هو أعظم ما اشتغل به الباحثون، وأنفس ما صرفت إليه العقول والأذهان، وهو المصدر الخصب للدراسات اللغوية، والميدان الفسيح الذي حوىٰ كليات العلوم ومعاقد استنباطها، وألفاظه أوعية محملة بدلالات لغوية لها أبعاد نفسية، وهو يربط دائمًا بين القلوب، والأرواح والأفكار، ويراعىٰ في هذا الربط الدلالات النفسية والسياقات المختلفة رغم اختلاف الزمان والمكان حيث إنه يتوجه إلىٰ العقول ثم يتغلل في النفوس ويستقر فيها، فقد كان للنفس الإنسانية حظ كبير من الحديث برز بشكل واضح في أحداث القصص القرآني الذي شهد حضورًا أكبر في آيات القرآن الكريم، وقد زخرت سورة البروج بعبر وعظات كقصة أصحاب الأخدود التي فتن فيها أولئك المؤمنون فتنة عظيمة وحرقوا بالنار فما صدهم ذلك عن دينهم، وقد استفاد الصحابة ﭫ من هذه العبر فثبتوا علىٰ دينهم حتىٰ نصرهم الله ﷻ، وأعلىٰ شأنهم، وأبدل خوفهم أمنًا، ومكن لهم دينهم الذي ارتضىٰ لهم، وإذا ما تدبرنا ألفاظ هذه السورة الكريمة نجد أن كل مفردة فيها وضعت في مكانها المناسب الموضوع لها، وأن المدلولات النفسية لهذه المفردات لها حضور في كل مشهد، بل في كل آية من آيات السورة الكريمة؛ لذا فإن النظر إلىٰ الأجواء العاطفية والنفسية التي ترافق استعمال هذه المفردات في السورة الكريمة يمكن أن يكشف لنا جانبًا مهمًا من جوانب المعنىٰ يختبئ خلف هذه المفردات، ولا تجليه لنا الدلالات اللغوية

المختلفة، وهذه الدلالات النفسية لا تتعارض مع الدلالات اللغوية الأخرىٰ بل هي تتكاتف معها في الكشف عن المعنىٰ

ومن هذا المنطلق كان اختياري لهذا البحث الذي جاء بعنوان[**دلالات سورة البروج في ضوء علم اللغة النفسي**] في محاولة لإدارك المعاني والأبعاد النفسية لنصوص القرآن الكريم، فهي دراسة تختص بالتركيز علىٰ الجانب النفسي للألفاظ القرآنية، من خلال الخطاب القرآني في سورة البروج .

أولا: أسباب اختيار البحث

وقد كان لهذا الاختيار أسباب منها:

١- أن سورة البروج تزخر بالعديد من الدلالات الصوتية والصرفية والتركيبية التي لها أبعاد نفسية، فالدلالات النفسية جزء لا يتجزأ من النظام اللغوي وهذه الدلالة لا تتنافىٰ مع وجود هذه الدلالات اللغوية بل تتكاتف الدلالات جميعها في الكشف عن المعنىٰ.

٢- أن هذه الدراسة تطلعنا علىٰ لون جديد من ألوان الإعجاز القرآني وهو الإعجاز النفسي، فالقرآن الكريم يؤثر في نفوس مستمعيه وهو مشحون في سوره وآياته بالكثير من الدلالات النفسية والعاطفية.

٣- بيان ما لهذه السورة الكريمة من أثر عظيم في نفس النبي-ﷺ- خاصة وفي نفوس المؤمنين بصفة عامة، حيث كان لهذا التأثير أعظم الأثر في تربية النفوس وتزكيتها، مما يعكس أثر الخطاب القرآني علىٰ الأسماع، وتأثيره في القلوب بما تحمله السورة الكريمة من دلالات وبشريات إيمانية تثبت قلب النبي-ﷺ- وقلوب المؤمنين.

٤- أن الدلالة النفسية تعد من أهم الدلالات التي يمكن استنباطها من الكلام ولا يمكن تجاوزها عند البحث عن دلالة الألفاظ، حيث تنعكس المعاني النفسية بصورة واضحة تجاه الألفاظ.

ثانيا: إشكالية البحث

أما عن إشكاليات البحث فيواجه البحث عدة تساؤلات يحاول الإجابة عنها، وهي:

- ما المقصود بعلم اللغة النفسي؟
- ما مجالاته؟
- ما المقصود بالدلالة النفسية؟
- ما الغرض النفسي من السورة الكريمة ؟
- هل هناك آثار نفسية عميقة تعكسها الوحدات الصوتية والصرفية والتركيبية التي اشتملت عليها السورة الكريمة؟

أما عن المنهج المتبع في الدراسة: فقد اتبعت في بحثي هذا المنهج الوصفي التحليلي

لنصوص السورة الكريمة لبيان ما تحمله من دلالات صوتية وصرفية وتركيبية وبيان الأبعاد النفسية التي تختبئ خلف هذه الدلالات اللغوية المختلفة، وكذلك الوقوف علىٰ جانب من جوانب الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم، ومدىٰ تأثيره في ذهن المتلقي.

ثالثا: الدراسات السابقة

أما عن الدراسات السابقة فسأذكر منها ما يلي:

١- **التعبير القرآني والدلالة النفسية** ، للباحث عبد الله محمد الجيوسي، كتاب منشور بدار الغوثاني، دمشق، الطبعة الأولىٰ ٢٠٠٦م.

٢- **الدلالة النفسية للخطاب القرآني في آيات الحسبلة**، للدكتور محمود كمال سعد أبو العينين، بحث منشور في مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط، العدد الثالث والأربعون، الجزء الرابع، الإصدار الثاني، مايو ٢٠٢٤م.

٣- **من قصص النساء في القرآن الكريم دراسة تحليلية في ضوء علم اللغة النفسي**، للدكتورة سوسن حسانين الهدهد، بحث منشور في مجلة كلية التربية، جامعة الأزهر، العدد(١٦١)، المجلد الثاني، ديسمبر لسنة ٢٠١٤م.

٤- **الهمز واللمز في القرآن الكريم في ضوء علم اللغة النفسي**، دكتورة هناء علي أحمد نواية، بحث منشور في مجلة الزهراء كلية الدراسات الإسلامية بنات القاهرة، العدد الثلاثون.

رابعا: خطة البحث

وقد اقتضت طبيعة الموضوع أن تكون خطة البحث في (مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث ثم خاتمة تتلوها قائمة للمصادر والمراجع)، وهي كما يأتي:

أما المقدمة: فتحدثت فيها عن أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وإشكالياته، وخطة البحث، والدراسات السابقة، والمنهج المتبع في الدراسة.

أما التمهيد **فتضمن ثلاثة مطالب، هي:**

المطلب الأول: التعريف بعلم الدلالة.

المطلب الثاني: التعريف بعلم اللغة النفسي.

المطلب الثالث: تعريف عام بسورة البروج.

ثم جاء المبحث الأول بعنوان **" الدلالة الصوتية في سورة البروج في ضوء علم اللغة النفسي"، وفيه:**

المطلب الأول: دلالة الأصوات الصامتة وعلاقتها بالأثر النفسي.

المطلب الثاني: دلالة الأصوات الصائتة وعلاقاتها بالأثر النفسي.

ثم جاء المبحث الثاني بعنوان" "الدلالة الصرفية في سورة البروج في ضوء علم اللغة النفسي"، وفيه:

المطلب الأول: الدلالة الزمنية في صيغة الأفعال.

المطلب الثاني: "دلالة أبنية المصادر وصيغ المبالغة"

ثم جاء المبحث الثالث بعنوان" "الدلالة التركيبية في سورة البروج في ضوء علم اللغة النفسي"، وفيه:

المطلب الأول: دلالة حروف المعاني.

المطلب الثاني: دلالة الاستفهام.

المطلب الثالث: دلالة القسم.

المطلب الرابع: دلالة التوكيد.

المطلب الخامس: دلالات التنكير.

ثم جاءت الخاتمة وبها نتائج البحث، ثم فهرس المصادر والمراجع.

وبعد فهذا جَهْدُ المُقِلِّ بَذَلْتُ فيه غاية الوسع، وحاولت فيه توخي الدقة، ولم أبخل بجهد، ولم أتوان عن كل ما يخدم البحث مما تيسر لي؛ ليكون إضافة جديدة إلىٰ الدراسات اللغوية، فإن أَكُ قد وُفِّقت فذلك فضل من الله يؤتيه من يشاء، وإن كانت الأخرىٰ فحسبي أنني اجتهدت، وأخلصت النية لله ﷻ.

وصلى الله على نبينا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

التمهيد

المطلب الأول: التعريف بعلم الدلالة

علم الدلالة عرف بأنه:" ذلك الفرع من علم اللغة الذي يقوم بدراسة المعنىٰ المعجمي"(١).

وقد عرّفه الدكتور/ أحمد مختار عمر بأنه: "دراسة المعنىٰ"، أو العلم الذي يدرس المعنىٰ" أو: "ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنىٰ"(٢).

ومن هنا يتضح لنا أن علم الدلالة هو فرع من فروع علم اللغة، يدرس مستوىٰ المعنىٰ، وهذا الفرع يتميز عن سائر الفروع بأنه غاية الدراسات الصوتية والنحوية والصرفية والمعجمية(٣)، يقول الدكتور السعران:" علم الدلالة، أو دراسة "المعنىٰ" فرع من فروع علم اللغة، وهو غاية الدراسات الصوتية، والفونولوجية، والنحوية، والقاموسية، إنه قمة هذه الدراسات" (٤)؛ ولذا قسم الباحثون الدلالة إلىٰ أربعة أنواع(٥):

---

(١) علم الدلالة للدكتور/ أحمد مختار عمر، ص٢٢، الناشر: عالم الكتب ـ القاهرة، الطبعة الأولىٰ ١٩٥٨م.

(٢)علم الدلالة، الدكتور/ أحمد مختار عمر: ١١.

(٣) علم الدلالة، الدكتور/ أحمد مختار عمر: ص٥.

(٤) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، تأليف: محمود السعران، ص٢١٣، الناشر: دار الفكر العربي، طبعة ٢ – القاهرة ١٩٩٧.

(٥) علم اللغة بين القديم والحديث، تأليف الدكتور/ عبد الغفار حامد هلال، ص١٩٥، الناشر: مطبعة الجبلاوي، القاهرة، الطبعة الثالثة(١٩٨٩م).

١- الدلالة المعجمية:

وهي الدلالة التي وضعها الأسلاف للألفاظ المختلفة، وتكفلت ببيانها قواميس اللغة حسب ما ارتضته الجماعة واصطلحت عليه، وتستعمل في الحياة اليومية بعد تعلمها بالسماع والتلقين، والقراءة والاطلاع علىٰ آثار السابقين شعرًا ونثرًا، ويتطلب هذا التعليم زمنًا ليس بالقصير قبل أن يسيطر المرء علىٰ لغة أبويه، وهذه الدلالة عرضة للتغيير؛ بل إنها تغيرت حقًّا بعد عصر تدوين اللغة نتيجة اختلاف حياة الأجيال المتعاقبة، وما جد من مستحدثات وأمور تقتضي التغيير(١).

٢- الدلالة الصوتية:

وهي ما يكون بين أصوات بعض الكلمات، وطرائق نطقها وبين معانيها من ارتباط؛ فقد اكتشف بعض العلماء في طائفة من الألفاظ العربية صلة بين ألفاظها ومعانيها، فبينوا أن العربي كان يربط بين الصوت والمعنىٰ فيجعلهما متشابهين فيدل علىٰ المعنىٰ الضعيف بأصوات ضعيفة وعلىٰ المعنىٰ القوي بأصوات قوية، ومن ذلك كلمتا (النضح والنضخ) فكلاهما لسيلان الماء ونحوه؛ إلا أن الأول سيلان ضعيف فتناسبه الحاء الرقيقة، والثاني سيلان قوي فتناسبه الخاء الغليظة، وهكذا جعل العربي الصوت في مقابل المعنىٰ المناسب له، وتمتد المناسبة من الحرف الواحد إلىٰ حرفين وإلىٰ جميع حروف الكلمة.

وللنبر والتنغيم أيضًا علاقة بالمعنىٰ، ذلك وإن لم يتضح في العربية الفصحىٰ؛ لعدم اكتمال دراسته فيها، فإنه يظهر كثيرًا في العاميات؛ فالصوت يرتبط بالمعنىٰ، وطريقة

(١) دلالة الألفاظ تأليف الدكتور/ إبراهيم أنيس، ص٤٩، الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الخامسة ١٩٨٤م.

الأداء لها دخل في التعبير عنه، هذا وإن كان خاصًّا ببعض الألفاظ وطرق أدائها فإن له أهمية في كشف جانب حيوي من جوانب دلالة الألفاظ(١).

٣- الدلالة الصرفية:

تلعب طرائق البنية، واشتقاق الصيغ اللغوية دورًا كبيرًا في الدلالة علىٰ المعنىٰ، فصيغ الأفعال بأنواعها، الماضي، والمضارع، والأمر تدل علىٰ الحدث وزمنه، وما يتصل بهذه الأفعال من حروف الزيادة والتوكيد واللواحق الأخرىٰ، وما يدخلها من التضعيف وغيره كل ذلك له أثر في توجيه المعنىٰ.

وصيغ الأسماء تحمل العديد من المعاني التي تتنوع بتنوعها كأسماء الفاعلين، والمفعولين، وصيغ المبالغة، وأسماء الزمان، والمكان، والتصغير، والنسب، والجموع فلكل منها معنىٰ يؤديه.

وتظهر المعاني بالرجوع إلىٰ كتب الصرف والأبنية التي تذكر معاني الصيغ اللغوية التي بلغت حدًّا كبيرًا، وقد اهتم بها علماء اللغة لصلتها الوثيقة بالمعنىٰ(٢).

٤- الدلالة النحوية:

وهي التي تستمد من ترتيب الجملة وفق ترتيب المعنىٰ الدلالي؛ بحيث لو اختل هذا الترتيب دون قرينة تعين علىٰ فهم المعنىٰ المراد لأصبح من العسير فهم المعنىٰ المراد، ففي جملة (زار عيسىٰ موسىٰ) لو قلنا (زار موسىٰ عيسىٰ) دون قرينة لاختلف المعنىٰ، وتعسر فهم المراد(٣).

---

(١) دلالة الألفاظ: الدكتور/ إبراهيم أنيس، ص٤٦.

(٢) دلالة الألفاظ: الدكتور/ إبراهيم أنيس، ص٤٧.

(٣) دلالة الألفاظ: الدكتور/ إبراهيم أنيس، ص٤٧، وفقه اللغة تأليف/ الدكتور إبراهيم أبو سكين، ص١٦، طبعة الأمانة ١٤٠٤هـ.

ولا يمكن فصل علم الدلالة عن أي علم من علوم اللغة؛ ذلك أن الدارس لا يمكن أن يحدد دلالة اللفظ من دون أن يلحظ الجانب الصوتي الذي قد يؤثر في المعنىٰ، ولا يمكن تحديد الدلالة من دون أن نلحظ البناء الصرفي للكلمة وبيان المعنىٰ الذي تدل عليه صيغتها، أو مراعاة جانب الوظيفة النحوية لكل كلمة داخل السياق، فضلاً عن معرفة المعنىٰ المعجمي للمفردة[١].

(١)علم الدلالة: أحمد مختار عمر: ص١٣، ١٤.

المطلب الثاني: التعريف بعلم اللغة النفسي

يعد علم اللغة النفسي فرعًا من فروع علم اللغة التطبيقي، وهو من العلوم الحديثة التي لم تتضح معالمها، ولم تستقل استقلالا تامًا إلا في النصف الثاني من القرن العشرين؛ وذلك إثر ظهور الاتجاه المعرفي الفطري في علم اللغة الذي يعد ثمرة الالتقاء الحقيقي بين علم اللغة وعلم النفس بتأثير من النّظرة العقليّة المعرفيّة للغة، ووظائفها وطرائق اكتسابها وأساليب تعلمها؛ ولذلك فإن هذا الفرع التطبيقي هو ميدان مرن، وحقل للامتزاج والتّفاعل بين المعرفة النّفسيّة العقليّة، وبين المعرفة اللسانيّة الفطريّة أي بين علم النفس المعرفي، وبين علم اللغة العقلي، في مقابل ما كان سائدًا من تزاوج بين علم النفس السلوكي، وبين علم اللغة البنيوي(١).

ويعرف علم اللغة النفسي بأنه: "علم يهتم بدراسة العمليات العقلية التي تتم في أثناء استعمال الإنسان للغة فهما وإدراكًا وإنتاجًا، كما يهتم باكتساب اللغة نفسها"(٢)، **وقيل** :" فرع من فروع علم اللغة يدرس العلاقة بين السلوك اللغوي للإنسان والعمليات النفسية العقلية المعرفية التي تحدث في أثناء اللغة واستعمالها، التي من خلالها يكتسب الإنسان اللغة"(٣).

---

(١) علم اللغة النفسي مناهجه ونظرياته وقضاياه، تأليف: جلال شمس الدين، ١/ ٨، الناشر: مؤسسة الثقافة الجامعية، الاسكندرية، بدون طبعة، وسيكولوجية اللغة واللسانيات المعاصرة دراسة في مبادئ البحث اللغوي النفسي/ عزيز كعواش، ص٤٥١، ٤٦٠، مجلة الباحث في العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة قاصدي مرباح – ورقلة، ٢٠٢١ م.

(٢) علم اللغة النفسي، عبد العزيز إبراهيم العصيلي، ص ٢٦، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، طبعة ٢٠٠٦م.

(٣) علم النفس اللغوي، تأليف: دكتورة / نوال محمد عطية ص ١٤، ١٥ ،الناشر: المكتبة الأكاديمية، القاهرة، الطبعة: الثالثة١٩٩٥م.

وقيل هو:" علم يدرس الآليّات العقليّة التي يستطيع الإنسان بواسطتها استعمال اللغة، للوصول إلىٰ نظريّة مفهومة تفسر إنتاج اللغة واستعمالها"(١).

أو هو:" العلم الذي يبحث في ظواهر اللغة ونظرياتها، وطرق اكتسابها وإنتاجها من الناحية النفسية مستخدمًا أحد مناهج علم النفس"(٢).

أو هو:" الدراسة العلميّة التّجريبيّة للعمليّات النفسيّة التي تحدث في داخل العقل البشري، التي بها يكتسب الإنسان اللغة الطبيعية ويستعملها"(٣).

يتضح من خلال هذه التعريفات أنها تتفق في كون علم اللغة النفسي يدرس العمليّات العقليّة والمعرفيّة التي تمّكن الإنسان من اكتساب اللغة واستعمالها إدراكًا وفهمًا وإنتاجًا، وجميعها يعبّر عن العلاقة الوطيدة بين علم النفس، وبين علم اللغة، فلا يمكن دراسة اللغة بمعزل عن العوامل النفسية والعقلية والاجتماعية.

ومن هنا يمكن القول أن علم اللغة النفسي موضوعه هو: دراسة العلاقات التي تربط بين العوامل اللغوية والنفسية، فهو يختص بدراسة العوامل النفسية والحيوية التي تمكن الإنسان من اكتساب اللغة واستعمالها وفـهمها وإنتاجها.

فوظيفة علم اللغة النفسي هي الغوص في أعماق اللغة والبحث في جوانبها النفسية المعرفية وما يرتبط بذلك كله من نواح فسيولوجية واجتماعية؛ للوقوف علىٰ ما يعرفه

---

(١) علم اللغة النفسي، العصيلي: ص ٢٧.

(٢) علم اللغة النفسي مناهجه ونظرياته وقضاياه: ١/ ١٠.

(٣) سيكولوجية اللغة واللسانيات المعاصرة دراسة في مبادئ البحث اللغوي النفسي ص٤٥٨، وعلم اللغة النفسي، العصيلي: ص ٢٧.

الإنسان عن اللغة، بدلا من الاقتصار علىٰ وصفها وصفًا شكليًّا ينحصر في الأصوات والصرف والدلالة[١].

مجالات علم اللغة النفسي:

مجالات هذا العلم وموضوعاته كثيرة يمكن إيجازها فيما يلي:

١- فهم اللغة سواء كانت منطوقة أو مكتوبة، حيث يركز هذا المجال علىٰ الدراسة التفصيلية للعمليات العصبية والعقلية المستخدمة في فهم اللغة.

٢- استعمال اللغة، أو إصدار الكلام.

٣- اكتساب اللغة؛ سواء أكانت لغة أما أم لغة ثانية، ولكن الدراسات في هذا المجال غالبا ما تركز علىٰ اكتساب الأطفال لغاتهم الأم.

٤- العمليات التواصلية وما يرتبط منها من نواح فسيولوجية، وفيزيائية، وسمعية، وعصبية، والعوامل المؤثرة في ذلك، سواء أكانت عوامل داخلية أم عوامل خارجية.

٥- المشكلات والاضطرابات اللغوية لعيوب النطق الخلقية.

٦- دراسة العمليات النفسية التي تحدث أثناء القراءة.

٧- لغة الإشارة عند الصم من حيث الاستعمال والاكتساب والتقصيد، وما يتعلق بها من قضايا ومشكلات لغوية ونفسية واجتماعية.

٨- إضافة إلىٰ الأنظمة اللغوية (الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية) بوصفها جزءًا من هذا الميدان[٢].

---

(١) علم اللغة النفسي، العصيلي: ص ٣٤.

(٢) علم اللغة النفسي، العصيلي، ص ٣٥: ٣٧.

ومن أهم أهداف علم اللغة النفسي الإجابة عن التساؤلات التالية: كيف يكتسب الإنسان اللغة؟ وكيف يستعملها؟ وكيف يفهم الإنسان اللغة وكيف ينتجها؟ وما وظيفة القواعد العقلية في العمليات الوصلية؟(١).

فالتعبير النفسي لدىٰ الإنسان يقوم علىٰ أساس خلجات نفسية تختلف من فرد إلىٰ آخر، كما أن السلوك اللفظي يختلف باختلاف نظرة الأفراد للأشياء والمفاهيم، واستجابة الفرد تكون بالنسبة للمعاني التي يراها هو مناسبة لهذا المفهوم أو ذاك، ومن هنا ينشأ الاختلاف في السلوك اللفظي، والتعبير الكلامي؛ لأن كل فرد يفكر فيما يراه هو حقيقة الأشياء والموضوعات، وبالرغم من أن هذه المعاني لا تعد في الواقع الحقيقة ذاتها؛ لأن المعنىٰ الذي يراه الشخص قد يخالف واقعه(٢)، فضلا عن أن كل حدث كلامي يحمل أثرًا انفعاليًّا؛ فالحدث الكلامي عبارة عن تعبير خاص ينتج انفعالًا معينًا، يتغير في كل مرة يؤدي فيها الحدث كما أنه لا يستمر بطريقة واحدة إطلاقًا(٣).

ويأتي دور علم اللغة النفسي في اكتشاف المعاني والدلالات القريبة للواقع؛ ولذا فإنه يدرس ظواهر اللغة ونظرياتها وطرق اكتسابها وإنتاجه من الناحية النفسية؛ مستخدمًا أحد مناهج علم النفس أو مستفيدًا من نتائج دراسته وبحوثه، كما أن دراسة

---

(١) علم اللغة النفسي في التراث العربي، تأليف : دكتور جاسم علي جاسم ، ص٥٠٨، الناشر: مجلة الجامعة الإسلامية عدد١٥٤.

(٢) سيكولوجية اللغة واللسانيات المعاصرة دراسة في مبادئ البحث اللغوي النفسي ص٤٥١-٤٦٠.

(٣) سيكولوجية اللغة واللسانيات المعاصرة دراسة في مبادئ البحث اللغوي النفسي ص٤٥١-٤٦٠.

علم النفس وأثره في اللغة تبين المعاني الخفية من النص، فتكشف المعنىٰ ومعنىٰ المعنىٰ؛ فالجانب النفسي هو السلوك اللغوي للمتكلم وهو الدافع في اختيار ألفاظ بعينها، وتفضيلها عن غيرها بحسب الحالة المزاجية والدوافع النفسية ليتسنىٰ له التواصل مع الآخرين بغية التعبير عن أغراضه ومكنونات نفسه، والدلالة النفسية تؤثر علىٰ الجانب الوجداني من المتلقي قارئًا أو مستمعًا للآيات القرآنية، فتتأثر مشاعره، وانفعالاته وعواطفه، بما يسمعه ويتلقاه(١).

(١) ظاهرة نقل الدلالة في المجموعة القصصية)الزهور تبحث عن آنية لعبد العزيز مشري (دراسة في ضوء معطيات علم اللغة النفسي، لعبد العزيز مشري دراسة في ضوء علم اللغة النفسي، د/ أشرف محمد ساعدي، ص ١٣، بحث منشور في كلية الآداب جامعة أسيوط ، العدد ٧٧ ، لسنة ٢٠٢١م.

المطلب الثالث: تعريف عام بسورة البروج

سورة البروج من السور المكية، وآياتها ثنتان وعشرون آية، وكلماتها مائة وتسع كلمة، وحروفها أربعمائة وثلاثون حرفًا نزلت بعد سورة الشمس وقبل سورة التين، وهي السابعة والعشرون في تعداد نزول السور(١).

- مناسبتها لما قبلها:

اشتملت سورة البروج كالسورة التي قبلها (سورة الانشقاق) علىٰ وعد المؤْمنين، ووعيد الكافرين. والتنويه بشأن القرآن ورفعة شأْنه، كما اشتملت أَيضًا -كالسورة التي قبلها- علىٰ بيان أَن العاقبة والغلبة والظفر للمؤمنين الصابرين مهما لاقوا من عذاب وأَهوال، وأَن الهزيمة والخيبة في الدنيا والعذاب في الآخرة للكافرين المكذبين مهما اشتد بطشهم وعظم سلطانهم(٢).

---

(١)الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تأليف: أبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي (ت: ٤٢٧ هـ)، ١٠/ ١٦٤، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولىٰ ١٤٢٢،هـ – ٢٠٠٢ م، ومعالم التنزيل في تفسير القرآن، تأليف: أبي محمد الحسين الفراء البغوي الشافعي (ت : ٥١٠ هـ)، ٥/ ٢٣١، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة : الأولىٰ ، ١٤٢٠ ه، ومنار الهدىٰ في بيان الوقف والابتدا ، تأليف: أحمد بن عبد الكريم الأشموني المصري الشافعي (المتوفىٰ: نحو ١١٠٠ هـ)، ص٨٤٢، تحقيق: شريف أبو العلا العدوي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢ م.

(٢) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، تأليف: مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، ١٠/ ١٨٥٢، الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة: الأولىٰ، (١٣٩٣هـ = ١٩٧٣ م) - (١٤١٤هـ = ١٩٩٣ م).

- موضوعاتها وأهم مقاصدها:

الموضوع المباشر أو المحور العام الذي تتحدث عنه السورة هو حادث أصحاب الأخدود(وهم فئة من المؤمنين الأولين كانوا قد آمنوا قبل ظهور الإسلام، وتعرضوا للعذاب بالنار علىٰ يد الكفار من إخوانهم، عقابا لهم علىٰ إيمانهم)، وهذه القصة تمثل قصة التضحية بالنفس في سبيل العقيدة والإيمان، وقد ذكرت هذه القصة تثبيتًا للنبي-ﷺ- والمؤمنين وتسلية لهم عما أصابهم من المشركين، وقد تضمنت هذه السورة المقاصد الآتية[1]:

١- أَقسم الله -سبحانه وتعالىٰ- في أَول السورة ببعض مظاهر قدرته علىٰ أَن الكافرين الذين يؤذون المؤمنين ليردوهم عن دينهم مطرودون كما طرد من سلك مسلكهم ممن سبقهم: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ﴾ إِلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٌ﴾.

١- بينت السورة أَن الصامدين من المؤمنين الذين عُذبوا ما كان ذنبهم إِلا إِيمانهم بالله، وذكرت الوعيد للكافرين، والوعد للمؤمنين الصابرين: ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ إِلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ﴾.

٢- ذكرت السورة بعض صفاته - تعالىٰ - كقُوَّته وبطشه بالجبابرة، وبالجموع الطاغية من قوم فرعون وثمود وغيرهم من المكذبين، وأَن قوم الرسول يكذبونه والله من ورائهم محيط: ﴿إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ إِلىٰ قوله: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ﴾.

---

(١) صفوة التفاسير، تأليف: محمد علي الصابوني، ٣/ ٥١٦، الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧ م.

٤ - وخُتِمت السورة ببيان عظمة القرآن وأَنه في لوح محفوظ لا تصل إِليه يدٌ بتحريف، ولا قوة بتغير: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾[١].

- سبب نزولها:

الغرض العام من نزول هذه السورة الكريمة هو: تَسْلِيَةُ النَّبِيِّ -ﷺ- وَأَصْحَابِهِ عَنْ إِيذَاءِ الْكُفَّارِ ببيان أَنَّ سَائِرَ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ كَانُوا كأهل مكة، مِثْلَ أَصْحَابِ الْأُخْدُودِ في نجران، وَمِثْلَ فِرْعَوْنَ وَمِثْلَ ثَمُودَ، والكفار كلهم سواء في التكذيب؛ فانتقم الله منهم جميعًا لأنهم في قبضة القدرة الإلهية[٢].

قال بعض المفسرين عن سبب نزول هذه السورة الكريمة:" ولعل السر في الإتيان بهذه القصة هو مواساة المؤمنين المستضعفين الذين كان سفهاء المشركين يعذبونهم أشد العذاب بمكة في فجر الإسلام، وتعريفهم بما سبق للمؤمنين قبلهم في عصور قديمة، من التعرض لأنواع الأذىٰ والتنكيل، وبما آل إليه أمر الكافرين الذين عذبوهم، من سوء العاقبة والعذاب الوبيل.. وكما يندرج تحتها قدماء الكفار الذين حفروا الأخدود لإحراق المؤمنين قبل الإسلام، تشمل أيضًا مشركي قريش الذين يعذبون المستضعفين من المؤمنين في فجر الإسلام"[٣].

---

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم: ١٠/ ١٨٥٢.

(٢) التفسير الكبير، تأليف: أبي عبد الله محمد الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦ هـ)، ٣١/ ١٠٦، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠هـ.

(٣)التيسير في أحاديث التفسير، تأليف: محمد المكي الناصري (ت: ١٤١٤ هـ)، ٦/ ٤٠٥، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥ م.

- **مناسبة اسم السورة مع الغرض العام لها:**

جاء في التفسير الموضوعي ما يتعلق بعلاقة اسم سورة البروج بمحورها الرئيسي ما يلي:"

ومناسبة اسم السورة لمحورها هي أن البروج المنازل أو المصاعد أو هي النجوم العالية التي تتدرج في العلو حتىٰ تصل إلىٰ فضاء في غاية البعد وأن الحادث الذي وقع بيانه في هذه السورة قد بلغ الشناعة مبلغًا متطاولا في أخلاق البشر بحيث لا يكاد أحد يصدقه لولا وقوعه؛ تهويلا له وتشنيعًا بأهله"(١).

وقال ابن عاشور:" وَمُنَاسَبَةُ الْقَسَمِ لِمَا أَقْسَمَ عَلَيْهِ أَنَّ الْمُقْسَمَ عَلَيْهِ تَضَمَّنَ الْعِبْرَةَ بِقِصَّةِ أَصْحَابِ الْأُخْدُودِ وَلَمَّا كَانَتِ الْأَخَادِيدُ خُطُوطًا مَجْعُولَةً فِي الْأَرْضِ مُسْتَعِرَةً بِالنَّارِ أَقْسَمَ عَلَىٰ مَا تَضَمَّنَهَا بِالسَّمَاءِ بِقَيْدِ صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِهَا الَّتِي يلوح فِيهَا لِلنَّاظِرِينَ فِي نجومها مَا سَمَّاهُ الْعَرَبُ بُرُوجًا وَهِيَ تُشْبِهُ دَارَاتٍ مُتَلَأْلِئَةً بِأَنْوَارِ النُّجُومِ اللَّامِعَةِ الشَّبِيهَةِ بِتَلَهُّبِ النَّار"(٢).

فالإمام ابن عاشور يرىٰ أن العلاقة بين البروج وقصة أصحاب الأخدود هي جامع الشبه بين أنواع النجوم ولمعانها واتقاد نار الأخدود وتلهبها.

---

(١) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، تأليف: مصطفىٰ مسلم، ٩/ ٨٧، الناشر: جامعة الشارقة، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، طبعة يونيو ٢٠١٠.

(٢)التحرير والتنوير، تأليف: محمد الطاهر ابن عاشور التونسي (ت : ١٣٩٣ هـ)، ٣٠/ ٢٣٧، الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس، طبعة: ١٩٨٤هـ.

(الجو النفسي العام للسورة)

السورة تزخر بدلالات نفسية وعاطفية رائعة فهي من السور المكية التي نزلت في مكة قبل الهجرة تسلية للنبي -ﷺ- وأصحابه عن إيذاء الكفار لهم.

وقد تعرض النبي -ﷺ- لشتىٰ صنوف الأذىٰ ولقىٰ أصحابه أنواعًا من التعذيب، وقد وصف لنا الدكتور أبو شهبة الأجواء التي نزلت فيها سورة البروج:" لا يكاد التاريخ يعرف قومًا ابتلوا بألوان البلاء، وفتنوا أشد الفتنة مثل ما عرف ذلك لأصحاب نبينا محمد -ﷺ-، فقد عذّبوا عذابًا تنوء به الجبال، وأوذوا في سبيل عقيدتهم ودينهم أشد الإيذاء... وأخذهم النبي -ﷺ- بأساليبه الحكيمة في التربية والتهذيب، وكان لهم القدوة الحسنة في الثبات والصبر، والتحمل.. في سبيل العقيدة والغاية الشريفة"[(١)].

ففي مثل هذه الأجواء القاسية والكرب المتوالية كان القرآن ينزل تباعًا ليثبت قلب النبي وقلوب أصحابه ومن ذلك سورة البروج التي اشتملت علىٰ عبر وعظات كقصة أصحاب الأخدود التي فتن فيها المؤمنون فتنة عظيمة وحرقوا بالنار فما صدهم عن ذلك دينهم، وقد استفاد الصحابة ﭫ من هذه العبر فثبتوا علىٰ دينهم حتىٰ نصرهم الله -ﷻ- وأعلىٰ شأنهم وأبدل خوفهم أمنًا ومكن لهم دينهم الذي ارتضىٰ لهم[(٢)].

---

(١) السيرة النبوية علىٰ ضوء القرآن والسنة، تأليف: محمد بن محمد بن سويلم أبي شُهبة (ت: ١٤٠٣ هـ)، ١/ ٣٣٩، الناشر: دار القلم – دمشق، الطبعة: الثامنة – ١٤٢٧هـ.

(٢) سورة البروج دراسة تحليلية موضوعية، رسالة ماجستير إعداد/ إبراهيم البشير، ص١٤، الناشر: جامعة المدينة العالمية- ماليزيا، ٢٠١١م.

ومن هنا يظهر لنا سبب نزول هذه السورة الكريمة التي تحث علىٰ زيادة الإيمان وتقوي اليقين، وتساعد علىٰ الثبات علىٰ الحق والصبر علىٰ الأذىٰ حتىٰ يأتي النصر من الله أو يلقىٰ العبد ربه وهو علىٰ الإيمان.

ومما لا شك فيه أن نزول سورة البروج في العهد المكي حيث عانىٰ الصحابة أنواع الفتن والأذىٰ من كفار قريش وتعرضوا لأصناف الفتن والعذاب إنما هو بمثابة القوة المعنوية التي تشد من عزم النبي الكريم وصحابته الأجلاء للصمود أمام الأعداء.

وعليه فالمحور العام للسورة يدور حول الثبات علىٰ العقيدة وتسلية المؤمنين وبث روح القوة والعزيمة في نفوسهم من خلال التنويه بقصة أصحاب الأخدود وكيف كان موقف المؤمنين تجاه تسلط أعداء الدين عليهم، وما هي العبرة من هذه القصة، ويتجلىٰ لك أيضًا من خلال بقية الموضوعات التي دارت حولها السورة، وقد أقسم الله – ﷻ – ببعض مخلوقاته العظيمة في افتتاحية السورة لينبه علىٰ عظمته الدالة علىٰ قدرته؛ فينبثق منها شحذ الهمم في نفوس الضعفاء، ولتشويق السامعين لما يرد بعد القسم من أخبار وقصص تسلية للمؤمنين، وأخذًا للعظة والاعتبار.

كل هذه الأمور تجعلنا ندرك أهمية مراعاة الجانب النفسي عند النظر إلىٰ ألفاظ القرآن الكريم؛ فالآيات القرآنية مشحونة بدلالات نفسية ينهض بها المقام والسياق، وهذا ما سيحاول البحث الكشف عنه من خلال سورة البروج.

(آيات سورة البروج)

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ۝١ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ ۝٣ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ۝٥ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ۝٦ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ ۝٧ وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ۝٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ ۝١٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ ۝١١ إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝١٢ إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ ۝١٣ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ۝١٤ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ۝١٥ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٦ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡجُنُودِ ۝١٧ فِرۡعَوۡنَ وَثَمُودَ ۝١٨ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكۡذِيبٖ ۝١٩ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ۝٢٠ بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ۝٢١ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ۝٢٢﴾ [سورة البروج: ١-٢٢].

المبحث الأول: الدلالة الصوتية في سورة البروج في ضوء علم اللغة النفسي

الدلالة الصوتية: " هي الدلالة المستمدة من طبيعة الأصوات، فإذا حدث إبدال أو إحلال صوت منها في كلمة بصوت آخر في كلمة أخرىٰ – أدَّىٰ ذلك إلىٰ اختلاف دلالة كل منهما عن الأخرىٰ"(١)، أو هي: "المعاني المستفادة من نطق ألفاظ معينة"(٢). وقد عُنِي القدماء بهذا النوع من الدلالات، فقد أشار إليها الخليل؛ فقال: كأنهم توهموا في صوت الجندب استطالة ومدًّا، فقالوا: صر، وتوهموا في صوت البازي تقطيعًا، فقالوا: صرصر"(٣).

وأصَّل عبقري اللغة ابن جني لهذه الدلالة، فعقد بابًا في تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني(٤)، وبابًا في إمساس الألفاظ أشباه المعاني(٥)، وآخر في قوة اللفظ لقوة المعنىٰ، جمع فيها ابن جني أمثلة تُبين القيمة التعبيرية للصوت الواحد في حال البساطة، وأيضًا في حال التركيب(٦).

---

(١) دلالة الألفاظ: الدكتور/ إبراهيم أنيس: ص٣٥.

(٢) الدلالة الصوتية والصرفية في سورة يوسف في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ومناهجها، دكتورة/ نادية رمضان النجار، ص٢، بحث منشور بكتاب المؤتمر العلمي التاسع بكلية دار العلوم ٢٠٠٧م.

(٣) معجم العين، تأليف: الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي (ت: ١٧٠ هـ)، ١/ ٥٦، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، دون طبعة، والخصائص: تأليف: أبي الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت: ٣٩٢ هـ)، ٢/ ١٥٤، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: الرابعة(د–ت).

(٤) الخصائص: ٢/ ١٤٧: ١٥٣.

(٥) الخصائص: ٢/ ١٥٤: ١٧٠.

(٦) الخصائص: ٣/ ٢٦٨: ٢٧١.

ولهذه الدلالة أهمية بالغة في دراسة النص القرآني، فهي تتسم بقوة التأثير، كما أن الأصوات تختار بحسب الدلالة بقصد إخراج المعاني في أحسن صورة وتصورها صورة حية ناطقة تنقل لنا المشهد بكل تجلياته، فإن كان المقام مقام رهبة ترىٰ الأصوات متعانقة منكسرة حائرة وجلة؛ وكأن لها نفس تدرك الوجل، وتخاف الوقوع، وإن كان المقام مقام شدة تراها انفجارية تستمد قواها من قوة وهيبة المشهد الذي تعبر عنه وشدته، فقد وظف النص القرآني كل ما يمتلكه الصوت اللغوي، وذلك بهدف بلوغ أعمق مواطن التأثر في المتلقي، فغدا الصوتُ فيه صورةً متميزة للتناسق الفني وآية من آيات إعجازه[١] .

ويمكن تقسيم الدلالة الصوتية في سورة البروج كالآتي:

(١) دلالات سورة النصر في ضوء علم اللغة النفسي، د/ مروة محمد علىٰ إبراهيم، بحث منشور في مجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة، العدد الثاني والأربعون، ص١١٢٢ .

المطلب الأول: دلالة الأصوات الصامتة وعلاقتها بالأثر النفسي

تنقسم الأصوات في اللغة العربية إلىٰ قسمين كبيرين هما: الأصوات الصامتة، وهي ما يطلق عليها بالإنجليزية: "Consonants" والأصوات المتحركة، أو أصوات العلة ويسميها الإنجليز "Vowels"، وتعرف الأصوات الصامتة بأنها:" تلك الأصوات التي يحدث معها في نقطة ما من مناطق النطق أن يعترض مجرىٰ الهواء اعتراضًا كاملا "كما في حالة الباء" أو اعتراضًا جزئيًّا من شأنه أن يمنع الهواء من أن ينطلق من الفم دون احتكاك مسموع "كما في حالة الثاء والفاء مثلا"[(١)]، والأصوات الصامتة في اللغة العربية هي كل الأصوات عدا أصوات المد الألف والواو والياء، والحركات القصيرة الفتحة والكسرة والضمة.

وفيما يلي إحصاء للأصوات الصوامت في السورة الكريمة لمعرفة النسيج الصوتي للألفاظ فيها، وعلة شيوع بعض الأصوات فيها وقلة استعمال أصوات أخرىٰ، ومدىٰ ارتباط ذلك بالجوانب النفسية في السورة الكريمة:

١- الصوامت:

الصوت	عدد مرات التكرار	الصوت	عدد مرات التكرار
الهمزة	٢١	الباء	١٤
التاء	١٤	الثاء	٣
الجيم	٧	الحاء	٨
الخاء	١	الدال	٢٠
الذال	١٢	الراء	١٥
الزاي	٣	السين	٤

(١) السابق نفسه.

الصوت	عدد مرات التكرار	الصوت	عدد مرات التكرار
الشين	٨	الصاد	٣
الضاد	١	الطاء	٢
الظاء	١	العين	١٥
الغين	١	الفاء	٩
القاف	٦	الكاف	٨
اللام	٦٤	الميم	٤٠
ن	٣٢	هـ	٢٤
و	٢١	ي	٨

من خلال هذا الجدول يتضح ما يلي:

ذكرت سابقًا أن تعداد حروف سورة البروج هو: أربعمائة وثلاثون حرفًا، وبذلك تكون نسبة وورود كل صوت فيها كالآتي:

الهمزة: ٨ ,٤٪، والباء: ٢٥ ,٣٪، والتاء: ٢٥ ,٣٪، والثاء: ٦٩. ٪، والجيم: ٦٢ ,١٪، والحاء: ٨٦ ,١٪، والخاء: ٢٣. ٪، والدال: ٦٥ ,٤٪، والذال: ٧٩ ,٢٪، والراء: ٤٨ ,٣٪، والزاي: ٦٩..٪، والسين: ٣٩..٪، والشين: ٨٦ ,١٪، والصاد: ٦٩..٪، والضاد: ٢٣..٪، والطاء: ٤٦..٪، والظاء: ٢٣..٪، والعين: ٤٨ ,٣٪، والغين: ٢٣..٪، والفاء: ٠٩ ,٢٪، والقاف: ٣٩ ,١٪، والكاف: ٨٦ ,١، واللام: ٨٨ ,١٤٪، والميم: ٣٠ ,٩٪، والنون: ٤٤ ,٧٪، والهاء: ٥٨ ,٥٪، الواو:٨٨ ,٤٪، والياء: ٨٦ ,١٪.

- من الملامح المميزة للصوامت وعلاقتها بدلالة الآيات ما يلي:

أ- الأصوات المجهورة والمهموسة:

تنقسم الأصوات الكلامية إلىٰ أصوات مجهورة وهي:" التي يهتز معها الوتران الصوتيان" ، وأصوات مهموسة وهي:" التي لا يهتز معها الوتران الصوتيان"(١).

يقول الدكتور إبراهيم أنيس:" الأصوات الساكنة المجهورة في اللغة العربية كما تبرهن عليها التجارب الحديثة هي ثلاثة عشر صوتًا: ب، ج، د، ذ، ر، ز، ض، ظ، ع، غ، ل، م، ن. يضاف إليها كل أصوات اللين بما فيها الواو، والياء. في حين أن الأصوات المهموسة هي اثنا عشر: ت، ث، ح، خ، س، ش، ص، ط، ف، ق، ك، هـ"(٢).

والمتأمل لسورة البروج يلاحظ شيوع الأصوات المجهورة إذا ما قورنت بالمهموسة؛ فقد مثلت الأصوات المجهورة ٢٥٤ صوتًا بنسبة: ٥٩,٠٦٪، بينما مثلت الأصوات المهموسة ٩٠صوتًا بنسبة ٢٠,٩٣٪.

---

(١) الأصوات اللغوية، تأليف الدكتور/ إبراهيم أنيس، ص٢١، الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية، طبعة ٢٠١٧م.

(٢) خالف القدماء المحدثين في صوتي: الطاء، والقاف حيث وصفهم المحدثون بالهمس، أمًا قديمًا فقد وصفا بالجهر، زيادة علىٰ ذلك صوت "الهمزة" فهو من منظور القدماء مجهور، أما من منظور المحدثين فدار جدل شديد حوله فمنهم من اعتبره مهموسًا ومنهم من جعله مجهورًا، ومنهم من وصفه بأنه لا مجهور ولا مهموس حيث وصف" بالصوامت التي لا توصف باهتزاز أو عدمه، وهي تنشأ نتيجة التقاء الوترين الصوتيين فيغلقان الفتحة بينهما غلقًا محكمًا، ثم ابتعاد كل منهما عن الآخر فجأة وخروج الهواء في صورة انفجار. ينظر: الأصوات اللغوية: ص٩٠، وعلم الصوتيات، د/ عبدالله ربيع، ود/ عبد العزيز علام، ص٢٦٥.

ومعلوم أن الصوت المجهور يتميز بالقوة والوضوح السمعي؛ فالجهر في اللغة: الإعلام والإظهار[١]، واصطلاحًا: انحباس جرىٰ النفس عند النطق بحروفه لقوة الاعتماد علىٰ المخرج[٢]، وقيل أيضًا في تعريفه: هو قوة التصويت بالحرف لقوة الاعتماد عليه في المخرج حتىٰ منع جريان النفس معه فكان فيه جهر أي إعلان وإظهار ولذا سمي مجهورًا[٣] .

وضِدهُ الهمس، وهو في اللغة: الخفاء[٤]، وفي الاصطلاح ضعف التصويت بالحرف لضعف الاعتماد عليه في المخرج حتىٰ جرىٰ النفس معه فكان فيه همس أي خفاء؛ ولذا سمي مهموسًا، وحروفها عشرة، جمعها الحافظ ابن الجزري في المقدمة والطيبة في قوله: "فحثه شخص سكت" وهي الفاء والحاء والثاء المثلثة والهاء والشين والخاء والصاد والسين والكاف والتاء المثناة فوق"[٥].

---

(١) الصحاح: ٢/ ٨٦(ج هـ ر).

(٢) كيف تقرأ القرآن الكريم برواية الإمام قالون عن نافع المدني، تأليف: المختار المشري المقروش، ص٣٠، الناشر: فاليتا- مالطا - ، طبعة: ٢٠٠١.

(٣) الدر النثير والعذب النمير، تأليف: عبد الواحد بن محمد بن علي ابن أبي السداد الأموي المالقي (ت: ٧٠٥ هـ)، ٢/ ١٨، تحقيق ودراسة: أحمد عبد الله أحمد المقرئ، الناشر: دار الفنون للطباعة والنشر - جدة، طبعة ١٤١١هـ - ١٩٩٠ م، و الوافي في كيفية ترتيل القرآن الكريم، تأليف: أحمد محمود عبد السميع الشافعي الحفيان، ص٨٠، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م.

(٤)الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر، تأليف: محمد محمد محمد سالم محيسن (المتوفىٰ: ١٤٢٢ هـ)، ١/ ٩٢، الناشر: دار الجيل – بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

(٥) السابق نفسه.

ويؤخذ من التعريف الاصطلاحي لصفتي الجهر والهمس أن الفرق بينهما قائم علىٰ عدم جريان النفس في الأول وجريانه في الثاني، كما يؤخذ أيضًا أن الحروف الهجائية موزعة علىٰ الصفتين فما كان من حروف (فحثه شخص سكت) فهو من صفة الهمس، وأخفىٰ هذه الحروف وأضعفها علىٰ الإطلاق (الهاء) ولشدة خفائها قوّوها بمدّ الصلة.

وإنما لقبت تلك الحروف بالمهموسة لأن الهمس هو الحس الخفي الضعيف، فلما كانت ضعيفة لقبت بذلك(١).

والحروف المجهورة هي كل الحروف ما عدا حروف الهمس، وهي أقوىٰ من المهموسة وبعضها أقوىٰ من بعض علىٰ قدر ما فيها من الصفات القوية غير الجهر؛ فالطاء والدال المهملتان أقوىٰ من الذال والظاء المعجمتين، وكذلك بعض الحروف المهموسة أضعف من بعض: فالهاء والحاء والثاء (والفاء) ونحوها أهمس من الشين والخاء(٢).

مما تقدم يتضح أن الأصوات المجهورة تتميز بالقوة نظرًا للجهد العضلي المبذول أثناء نطق هذه الحروف فهي تحتاج إلىٰ جهد عضلي أعلىٰ من الجهد المبذول أثناء نطق الحروف المهموسة، ومن ثم نجد الحروف المجهورة تتميز بأنها أعلىٰ في الوضوح السمعي من المهموسة، فيكون للصّوت المجهور من سمات القوّة وطبيعة التأثير ما لا يكون لغيره من الأصوات، وهذه القوة تتناسب مع:

---

(١) الميزان في أحكام تجويد القرآن، تأليف: فريال زكريا العبد، ص٧٢، الناشر: دار الإيمان – القاهرة، دون طبعة.

(٢) الوافي في كيفية ترتيل القرآن الكريم: ص٧٠.

١- بيان وإظهار عظمة القدرة الإلهية إذ أقسم ﷻ بالسماء بوصفها بذات البروج، قال تعالىٰ في مستهل هذه السورة الكريمة: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ﴾

يقول الطبري: " أَقْسَمَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ، وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَىٰ الْبُرُوجِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: عُنِيَ بِذَلِكَ: وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْقُصُورِ، قَالُوا: وَالْبُرُوجُ: الْقُصُورُ.. وَأَوْلَىٰ الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ: أَنْ يُقَالَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: وَالسَّمَاءِ ذَاتِ مَنَازِلِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْبُرُوجَ جَمْعُ بُرْجٍ، وَهِيَ مَنَازِلُ تُتَّخَذُ عَالِيَةً عَنِ الْأَرْضِ مُرْتَفِعَةً "(١).

وقال أبو السعود: " ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ﴾ هيَ البروجُ الاثنَا عشرَ شبهتْ بالقصورِ لأنَّها تنزلُها السياراتُ ويكونُ فيها الثوابتُ أو منازلُ القمرِ أو عظامُ الكواكبِ سميتْ بروجًا لظهورِها أو أبوابِ السماءِ فإنَّ النوازلَ تخرجُ منها وأصلُ التركيبِ للظهورِ "(٢).

ويلاحظ أن أكثر حروف هذه الآية الكريمة مجهورة؛ لتتناسب مع حالة الظهور والوضوح لهذه البروج المُتَلَأْلِئَة الساطعة في السماء، قال ابن عاشور: " وقد أَقْسَمَ عَلَىٰ مَا تَضَمَّنَهَا بِالسَّمَاءِ بِقَيْدِ صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِهَا الَّتِي يلوح فِيهَا لِلنَّاظِرِينَ فِي نجومها مَا سَمَّاهُ الْعَرَبُ بُرُوجًا وَهِيَ تُشْبِهُ دَارَاتٍ مُتَلَأْلِئَةً بِأَنْوَارِ النُّجُومِ اللَّامِعَةِ الشَّبِيهَةِ بِتَلَهُّبِ النَّارِ "(٣).

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٢٤/ ٢٦١.

(٢) تفسير أبي السعود: ٩/ ١٣٥.

(٣) التحرير والتنوير: ٣٠/ ٢٣٧.

وقد أشار ابن عاشور إلىٰ الأثر النفسي لاستهلال السورة الكريمة بهذا القسم إذ يقول:" فِي افْتِتَاحِ السُّورَةِ بِهَذَا الْقَسَمِ تَشْوِيقٌ إِلَىٰ مَا يَرِدُ بَعْدَهُ وَإِشْعَارٌ بِأَهَمِّيَّةِ الْمُقْسَمِ عَلَيْهِ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَلْفِتُ أَلْبَابَ السَّامِعِينَ إِلَىٰ الْأُمُورِ الْمُقْسَمِ بِهَا؛ لِأَنَّ بَعْضَهَا مِنْ دَلَائِلِ عَظِيمِ الْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ الْمُقْتَضِيَةِ تَفَرُّدَ اللهِ تَعَالَىٰ بِالْإِلَهِيَّةِ وَإِبْطَالَ الشَّرِيكِ، وَبَعْضُهَا مُذَكِّرٌ بِيَوْمِ الْبَعْثِ الْمَوْعُودِ، .. وَبَعْضُهَا بِمَا فِيهِ مِنَ الْإِبْهَامِ يُوَجِّهُ أَنْفُسَ السَّامِعِينَ إِلَىٰ تَطَلُّبِ بَيَانِهِ.

وَالْقَسَمُ بِالسَّمَاءِ بِوَصْفِ ذَاتِ الْبُرُوجِ يَتَضَمَّنُ قَسَمًا بِالْأَمْرَيْنِ مَعًا لِتَلْتَفِتَ أَفْكَارُ الْمُتَدَبِّرِينَ إِلَىٰ مَا فِي هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ وَهَذِهِ الْأَحْوَالِ مِنْ دَلَالَةٍ عَلَىٰ عَظِيمِ الْقُدْرَةِ وَسَعَةِ الْعِلْمِ الْإِلَهِيِّ "(١).

فالدلالة النفسية التي تحملها هذه الآية هي: بيان عظمة السماء وارتفاعها وسعتها وعلو أبراجها مما يدل علىٰ عظمة خالقها وأنه وحده مستحق للعبادة، وقد صدرت السورة الكريمة بالقسم بهذه المخلوقات لينبه علىٰ عظمتها التي تدل علىٰ قدرته وتشويق السامعين لما يرد بعد هذا القسم وشد انتباههم وتحذيرهم لما يرد بعد ذلك.

٢- عظم وسعة ملكوت الله ﷻ، إذ قال ﷻ في ذات السورة الكريمة:

﴿ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ١٥﴾ ؛ أي صاحب العرش الذي من عظمته، أنه وسع السماوات والأرض، قال المراغي:" (ذُو الْعَرْشِ) أي ذو الملك والعظمة، والسلطان والقدرة النافذة، والأمر الذي لا يردّ، (الْمَجِيدُ) أي العظيم الكرم والفضل"(٢).

---

(١) التحرير والتنوير: ٣٠/ ٢٣٧.

(٢) تفسير المراغي، تأليف: أحمد بن مصطفىٰ المراغي (المتوفىٰ: ١٣٧١ هـ)، ٣٠/ ١٠٥، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولىٰ، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م.

ويلاحظ أن أكثر حروف هذه مجهورة كذلك ليتناسب مع جلال عظمته وضخامة سلطانه- جلا وعلا- فالله ﷻ بعد أن توعد الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات بعذاب جهنم وعذاب الحريق ثم وعد المؤمنين الصالحين بالجنة جزاء لهم أردف ذلك كله بما يدل علىٰ تمام قدرته علىٰ ذلك؛ ليكون ذلك بمثابة توكيد لما سبق من الوعيد والوعد فيكون ذلك أعظم في النفوس فتهابه وتخافه.

وقد أشار ابن عاشور إلىٰ الأثر التي تتركه هذه الآية الكريمة في النفس البشرية حيث قال:" وَلَمَّا ذَكَرَ اللهُ مِنْ صِفَاتِهِ مَا تَعَلَّقُهُ بِمَخْلُوقَاتِهِ بِحَسَبِ مَا يَسْتَأْهِلُونَهُ مِنْ جَزَاءٍ أَعْقَبَ ذَلِكَ بِصِفَاتِهِ الذَّاتِيَّةِ عَلَىٰ وَجْهِ الِاسْتِطْرَادِ وَالتَّكْمِلَةِ بِقَوْلِهِ: ﴿ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ تَنْبِيهًا لِلْعِبَادِ إِلَىٰ وُجُوبِ عِبَادَتِهِ لِاسْتِحْقَاقِهِ الْعِبَادَةَ لِجَلَالِهِ كَمَا يَعْبُدُونَهُ لِاتِّقَاءِ عِقَابِهِ وَرَجَاءِ نَوَالِهِ، والْعَرْشِ: اسْمٌ لِعَالَمٍ يُحِيطُ بِجَمِيعِ السَّمَاوَاتِ، سَمِّيَ عَرْشًا لِأَنَّهُ دَالٌّ عَلَىٰ عَظَمَةِ اللهِ تَعَالَىٰ كَمَّا يَدُلُّ الْعَرْشُ عَلَىٰ أَنَّ صَاحِبَهُ مِنَ الْمُلُوكِ، والْمَجِيدُ: الْعَظِيمُ الْقَوِيُّ فِي نَوْعِهِ"(١).

فالدلالة النفسية التي تحملها هذه الآية هي تنبيه العقول إلىٰ عظمة الخالق جلا وعلا وتوجيه الأنظار إلىٰ الآيات الكونية لتتحرك عواطف الإنسان إلىٰ الشعور بعظمة خالقه وتمام قدرته وملكه وعرشه المجيد؛ فيكون ذلك أدعىٰ إلىٰ عبادته وطاعته فهو وحده المستحق للعبادة والطاعة، ولا شك أن هذه الدلالة تحتاج إلىٰ أصوات قوية ذات وضوح سمعي لغرض توصيل المعنىٰ ولفت الأنظار إليه وهو ما وجدناه في الأصوات المجهورة التي اشتملت عليها الآية الكريمة؛ إذ يزيد الجهر من تأثير وقع هذه الأصوات علىٰ السامع.

(١) التحرير والتنوير: ٣٠/ ٢٤٩.

٣- قسوة قلوب وجبروت هؤلاء الطغاة الذين حفروا الأخاديد وألقوا فيها المؤمنين، وهذا علىٰ غير المألوف لدىٰ البشر، وهو أن يرىٰ الإنسان النار وهي تلتهم غيره دون أن يبالي، قال ﷻ في سورة البروج: ﴿ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ۝٥ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ۝٦ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ﴾ ، فيلاحظ أن أكثر أصوات هذه الآيات الكريمات من الأصوات المجهورة التي تتناسب مع ذلك الجرم الشنيع الذي قام به هؤلاء الطغاة، قال النسفي:" ﴿النار﴾ بدل اشتمال من الأخدود ﴿ذَاتِ الوقود﴾ وصف لها بأنها نار عظيمة لها ما يرتفع به لهبها من الحطب الكثير وأبدان الناس.. ﴿هُمْ عَلَيْهَا﴾ أي الكفار علىٰ ما يدنو منها من حافات الأخدود ﴿قعود﴾ جلوس علىٰ الكراسي"(١)، وقال القاسمي:" النَّارِ ذاتِ الْوَقُودِ بدل من الْأُخْدُودِ والْوَقُودِ بالفتح الحطب الجزل الموقد به وأما (الوقود) بالضم فهو الإيقاد إِذْ هُمْ عَلَيْها أي علىٰ حافات أخدودها قُعُودٌ أي قاعدون يتشفون من المؤمنين وَهُمْ عَلىٰ ما يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ أي حضور يشاهدون احتراق الأجساد الحية، وما تفعل بها النيران. ولا يرقّون لهم لغاية قسوة قلوبهم" (٢).

---

(١) تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، ٣/ ٦٢٣، ٦٢٤، تحقيق: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨ م.

(٢) محاسن التأويل، تأليف: محمد جمال الدين ابن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفىٰ: ١٣٣٢ هـ)، ٩/ ٤٤٤،

تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولىٰ - ١٤١٨هـ.

وقد أشار الإمام المراغي إلىٰ الدلالة النفسية التي توحي بها هذه الآيات الكريمات، حيث قال:" (إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ) أي قتلوا ولعنوا حين أحرقوا المؤمنين بالنار وهم قاعدون حولها يشرفون عليهم وهم يعذبون بها، ويحرقون فيها كما أشار إلىٰ ذلك بقوله:

(وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ) أي إن أولئك الجبابرة الذين أمروا بإحراق المؤمنين كانوا حضورا عند تعذيبهم، يشاهدون ما يفعله بهم من أتباعهم.

وفىٰ هذا إيماء إلىٰ قسوة قلوبهم، وتمكن الكفر منهم، إلىٰ ما فيه من إشارة إلىٰ قوة اصطبار المؤمنين وشدة جلدهم، ورباطة جأشهم، واستمساكهم بدينهم"[١].

فالآيات الكريمات تبين لنا تَفْظِيعُ ذَلِكَ الْقُعُودِ وَتَعْظِيمُ جُرْمِهِ، ومدىٰ القسوة التي اتصف بها هؤلاء الجبابرة العتاة إِذْ كَانُوا يُشَاهِدُونَ تَعْذِيبَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِهَانَتِهِمْ وَالتَّمْثِيلِ بِهِمْ لا يَرْأَفُونَ فِي ذَلِكَ وَلا يَشْمَئِزُّونَ، وهذا من أعظم ما يكون من التجبر وقساوة القلب؛ لأنهم جمعوا بين الكفر بآيات الله ومعاندتها، ومحاربة أهلها وتعذيبهم بهذا العذاب، الذي تنفطر منه القلوب، وحضورهم إياهم عند إلقائهم فيها يشاهدون ما يحل بالمؤمنين[٢].

فالدلالة النفسية التي تحملها هذه الآيات هي بيان مدىٰ فظاعة وتجبر قلوب هؤلاء الطغاة العصاة واتباعهم وهم يلتفون حول النار ينظرون إلىٰ المؤمنين يلقون في النار

---

(١) تفسير المراغي: ٣٠/ ١٠١.

(٢) التحرير والتنوير: ٣٠/ ٢٤٣، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تأليف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفىٰ: ١٣٧٦ هـ)، ص٩١٨، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا ، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولىٰ ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م.

فيحترقون! وهم يجأرون للمساعدة دون أن يستجيب لهم أي واحد منهم، وقد يكون من هؤلاء المعذبين من هو شيخ كبير، أو شاب يافع، أو امرأة ضعيفة، أو طفل رضيع، وهو منظر رهيب مخيف يثير في النفس الاشمئزاز من غلظة قلوب هؤلاء الكفرة فما أقسىٰ قلوبهم وما أوعر نفوسهم، وعلىٰ النقيض توضح لنا الآيات مدىٰ قوة إيمان المؤمنين ومدىٰ صلابتهم، فعلىٰ الرغم من شدة التعذيب والتنكيل بهم إلا أنهم قد ثبتوا علىٰ دينهم ولم يتزعزوا عنه، وهكذا يفعل الإيمان بالقلب الإنساني فيجعله أقوىٰ من زبر الحديد، وأثبت من الراسيات، وأسمىٰ من القمم السامقة، وأشد صلابة من كل ما يبتدعه الطغاة من وسائل الأذىٰ، والتعذيب، والقتل.

٤- علو شأن القرآن الكريم، ورفعة قدره، وأَنه في لوح محفوظ لا تصل إِليه يدٌ بتحريف، قال تعالىٰ: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ۝٢٢﴾، فأكثر أصوات الآيتين من الأصوات المجهورة التي تهتز معها الأوتار الصوتية أثناء نطقها؛ ولذا تسمىٰ مجهورة، أي يقوي التصويت بها بسبب انحصار الصوت من عدم جريان النفس معه حالة النطق به، ومن ثم فإن هذه الأصوات تتناسب مع هذه المنزلة الشريفة للقرآن الكريم، قال النسفي:" ﴿قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ﴾ شريف عالي الطبقة في الكتب وفي نظمه وإعجازه ليس كما يزعمون أنه مفترىٰ وأنه أساطير الأولين، ﴿فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ من وصول الشياطين مَّحْفُوظٍ نافع صفة للقرآن أي من التغيير والتبديل"[(١)]، وقال المراغي:" ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ۝٢٢﴾ أي إن هذا الذي كذبوا به كتاب شريف متفرد في النظم والمعنىٰ، محفوظ من التحريف، مصون من التغيير والتبديل"[(٢)]، وقال

(١) تفسير النسفي : ٣/ ٦٢٦.

(٢) تفسير المراغي: ٣٠/ ١٠٨.

السعدي:" ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴾ أي: وسيع المعاني عظيمها، كثير الخير والعلم، ﴿ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾ من التغيير والزيادة والنقص، ومحفوظ من الشياطين، وهو: اللوح المحفوظ الذي قد أثبت الله فيه كل شيء، وهذا يدل علىٰ جلالة القرآن وجزالته، ورفعة قدره عند الله تعالىٰ"(١).

وقد انتهت السورة الكريمة بالتنويه بالقرآن بسبيل توكيد صلة الله به وتوكيد ما احتواه من نذر ووعيد للطغاة المتمردين، فهو كتاب الله المجيد الذي لا يمكن أن يطرأ عليه تبديل وتغيير لأن الله حافظ له في لوحه، وَالْمَجِيدُ: الْعَظِيمُ فِي نَوْعِهِ، وَمُجِّدَ الْقُرْآنِ لِأَنَّهُ أَعْظَمُ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ وَأَكْثَرُهَا مَعَانِيَ وَهَدْيًا وَوَعْظًا، وَيَزِيدُ عَلَيْهَا بِبَلَاغَتِهِ وَفَصَاحَتِهِ وَإِعْجَازِهِ الْبَشَرَ عَنْ مُعَارَضَتِهِ(٢).

فالدلالة النفسية لهاتين الآيتين الكريمتين هي تقوية صلة المسلمين بالقرآن الكريم لكي يستمروا علىٰ طريقتهم ويتشبثوا بعقيدتهم فإنّ الله ناصرهم ومؤيدهم ومظهرهم علىٰ عدوهم.

ب- الأصوات الشديدة والرخوة والمتوسطة:

من الجوانب الأساسية في إنتاج الأصوات اللغوية تحديد درجة انفتاح مخرج الصوت أثناء مرور الهواء به؛ لأن ذلك من العوامل المؤثرة في تنوع الأصوات واختلاف جروسها،

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان:ص٩١٨.

(٢) التفسير الحديث [مرتب حسب ترتيب النزول]، تأليف: دروزة محمد عزت، ٢/ ١٦٠، الناشر: دار إحياء الكتب العربية – القاهرة، الطبعة: ١٣٨٣هـ.

وعلماء الأصوات وعلماء التجويد المتقدمون والمحدثون يقسمون الأصوات تبعًا لهذا الاعتبار إلىٰ ثلاثة أقسام:

١-الشدة: لغة: القوة [١]، واصطلاحًا: انحباس الصوت عند النطق بالحرف لكمال قوة الاعتماد علىٰ المخرج، فينغلق طرفا المخرج انغلاقًا تامًا ويعاق الصوت إعاقة تامة؛ أي أن اعتراض هواء الزفير هنا يكون اعتراضًا تامًّا[٢]، حروفها: ثمانية: الهمزة، الجيم، الدال، القاف، الطاء، الباء، الكاف، التاء، والمجموعة في جملة : (أَجِدُ قِطٍ بَكَت)[٣]، سميت بالحروف الشديدة لاشتداد الحرف في مخرجه (بسبب قوة الاعتماد أثناء تصادم طرفي المخرج وقت نطق الحرف)، فلا يجري معه الصوت[٤]، وتسمىٰ عند المحدثين بالحروف "الانفجارية "؛ ذلك لأن مجرىٰ النفس في أثناء النطق يضيق حتىٰ ينحبس في مكان ما لحظة ثم ينطلق بقوة؛ ولذا نلحظ له انفجارًا أو دويًّا[٥].

٢-الرخاوة: لغة: اللين[٦]، واصطلاحًا : جريان الصوت عند النطق بالحرف لضعف الاعتماد علىٰ المخرج وضعف انحصار الصوت فيه؛ أي أن اعتراض هواء

---

(١) الصحاح: ٢/ ٤٩٣(ش د د).

(٢) دراسات في فقه اللغة، د. صبحي إبراهيم الصالح (المتوفىٰ: ١٤٠٧ هـ)، ص٢٨١، الناشر: دار العلم للملايين

، الطبعة الأولىٰ ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م.

(٣) سر صناعة الإعراب: ١/ ٧٥.

(٤) سر صناعة الإعراب: ١/ ٧٥.

(٥) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي: ص١٥٣، والأصوات اللغوية، تأليف: د/ محمد علي الخولي، ص٣٧، الناشر: دار الفلاح، عمان- الأردن، ١٩٩٠.

(٦) لسان العرب: ١١/ ٢٨٦(رخ و).

الزفير هنا يكون اعتراضـًا متوسطـًا[١]، حروفها : ستة عشر حرفًا: الفاء، الحاء ، الثاء، الهاء، الشين، الخاء، الصاد، السين، الذال، الزاي، الضاد ، الظاء، الغين، الألف ، والواو والياء (سواء اللينتان أو المديتان) [٢]، سميت بحروف الرخاوة لأن مخرجها فيه ليونة لكونه مخرجًا مفتوحًا، وبسبب ضعف الاعتماد عليها في مخرجها، فلم تقوَ علىٰ منع الصوت من الجريان معها[٣]، وتسمىٰ عند المحدثين بالحروف الاحتكاكية؛ وذلك لأنها تنشأ بتضييق الممر مع استمرار خروج الهواء محدثًا ذلك الحفيف المسمىٰ بالاحتكاك[٤].

٣-**التوسط:** لغة: الاعتدال[٥]، اصطلاحًا: توسط صوت الحرف عند النطق به بين كمال الاحتباس وكمال الجريان[٦]، وحروف التوسط: خمسة: اللام ، النون ، العين ، الميم ، الراء المجموعة في قولهم : (لِنْ عُمر) [٧]، سميت بحروف التوسط؛ لأنها حالة وسط بين الشدة والرخاوة، بسبب وجود منفذ يتسرب منه جزء من الصوت[٨]، والأصوات المتوسطة تسمىٰ في بعض الدراسات الحديثة: بالأصوات

(١) سر صناعة الإعراب: ١/ ٧٦، ودراسات في فقه اللغة: ص٢٨١.

(٢) سر صناعة الإعراب: ١/ ٧٥.

(٣) دراسات في فقه اللغة: ص٢٨١.

(٤)الأصوات اللغوية، د/ محمد علي الخولي:ص٣٧.

(٥) الصحاح: ٣/ ١١٦٧(و س ط).

(٦) علم الصوتيات، د/ عبدالله ربيع، ود/ عبد العزيز علام، ص٢٦٦.

(٧) سر صناعة الإعراب: ١/ ٧٥.

(٨)علم الصوتيات، د/ عبدالله ربيع، ود/ عبد العزيز علام، ص٢٦٦.

المائعة **Liquide**، ويسميه بعضهم: بالصوت المزدوج، فهو يبدأ شديدًا انفجاريًّا، وينتهي رخوًا احتكاكيًّا(١).

يتضح مما سبق أن هذا التصنيف يعتمد علىٰ كيفية مرور الهواء في مخرج الحرف، فإذا حبس النّفس في مخرج الحرف حبسًا تامًا ثم أطلق بعد ضغطه لحظة كان الصوت شديدًا (انفجاريًّا) ، وإذا حصل تضييق لمجرىٰ النّفس في مخرج الحرف دون أن يحتبس كان الصوت رخوا (احتكاكيًّا)، وبعض الأصوات يحصل في أثناء النطق به اعتراض لمجرىٰ النّفس في مخرجه، ولكن من غير أن يحدث حبسًا تامًا للهواء لأن النّفس يجد له منفذًا يتسرب منه، ويسمىٰ الصوت حينئذ متوسطًا.

والصوامت الانفجارية تدل علىٰ القوة بسبب إطلاق الهواء إطلاقًا مفاجئًا بعد حبسه وضغطه، فيولد الضغط الموجود زيادة في طاقة الهواء المحبوس فتزداد بذلك قوة الصوت المنطوق، فهذه الأصوات تحافظ علىٰ قوتها المكتسبة من ضغط الهواء خلف عضو النطق عند إنتاج الصوت، فتكون سرعتها أكبر مما لو أطلق الهواء بشكل عادي؛ لأنه يخسر كثيرًا من طاقته(٢).

أما الأصوات الاحتكاكية فيحدث معها تضييق لمجرىٰ الهواء الخارج من الرئتين في موضع من المواضع، وهذا التضييق بدوره يعمل علىٰ زيادة تردد الأمواج الصوتية، وذلك بالتضييق من طولها من جهة، وبزيادة كمية طاقة الهواء الحركية الذي يحملها

---

(١)علم الصوتيات، د/ عبدالله ربيع، ود/ عبد العزيز علام، ص٢٦٦.

(٢) دراسة صوتية دلالية في السور المكية والمدنية، سورتا الحشر والملك نموذجًا، رسالة ماجستير إعداد: منىٰ محمد وحيد، ص٢٩، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح، فلسطين، ٢٠٢٠م.

لما يحدثه من ضغط واقع عليه من جهة أخرىٰ، وبهذا يكون ملمح الاحتكاك في الأصوات العربية ملمح قوة يحفل به الصوت الذي يحمله(١).

ومن هنا يمكن القول بأن الانفجار والاحتكاك يمثلان صفتا قوة للأصوات، إلا أن صفة الانفجار(الشدة) تعد أكثر قوة لما يكسبه الصوت من قوة وصلابة وانفجار أثناء نطقه؛ إذ هو أكثر وقعًا علىٰ المتلقي من الأصوات الاحتكاكية التي تعد أقل قوة من الأصوات الانفجارية، ولذلك فإن المعاني التي تناسب الصوت الاحتكاكي هي معاني الرقة والهدوء والأمان والاستقرار والسكون(٢).

أما الأصوات المتوسطة (المائعة) فتتميز بقوة الوضوح السمعي؛ فهي تخرج حرة طليقة فهي كالحركات في حرية مرور الهواء؛ ويسميها بعض اللغويين بأشباه الحركات لأنها تلي الحركات في درجة وضوحها السمعي(٣)، فهي تعد حلقة وسطىٰ بين الأصوات الساكنة وبين الصوائت، ففيها من صفات الأولىٰ: أن مجرىٰ النفس معها تعترضه بعض الحوائل، وفيها أيضًا من صفات الصوائت أنها لا يكاد يسمع معها أي نوع من الحفيف وأنها أكثر وضوحًا في السمع(٤)، كما توصف هذه الأصوات كذلك بأنها ممتدة؛ أي يدوم نطقها ما أسعف النفس؛ لأن الهواء أثناء الوقوف يخرج حرًا طليقًا من جانبي الفم في حال الأصوات الجانبية (اللام)، ومن

(١) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي: ص١٧٢.

(٢) دراسة صوتية دلالية في السور المكية والمدنية، سورتا الحشر والملك نموذجًا: ص٢٩.

(٣) دراسة صوتية دلالية في السور المكية والمدنية، سورتا الحشر والملك نموذجًا: ص٤٥.

(٤) الأصوات اللغوية، د/ إبراهيم أنيس: ص٢٧.

الأنف في حالة الأصوات الأنفية(الميم، والنون)، ومن الفم وإن جاء متقطعًا في حالة (الراء)[١].

والمتأمل لسورة البروج يلاحظ أن الأصوات الشديدة مثلت(٦٤ صوتًا) بنسبة ١٤,٨٨٪ من عدد أصوات السورة الكريمة، في حين مثلت الأصوات الرخوة(٢١٤ صوتًا) بنسبة ٤٩,٧٦٪ من الأصوات، بينما مثلت الأصوات المتوسطة (١٥٢ صوتًا) بنسبة ٣٥,٣٤٪، ومن هنا نجد أن الأصوات الرخوة هي أكثر شيوعًا من الأصوات الشديدة والمتوسطة.

وأرىٰ أنه من الطبيعي كثرة نسبة الأصوات الرخوة عن نظائرها الشديدة والمتوسطة؛ وذلك لأن عدد الأصوات الرخوة هي ستة عشر صوتًا في اللغة العربية كما أشرت سابقًا في حين أن عدد الأصوات الشديدة هي ثمانية صوتًا بينما عدد الأصوات المتوسطة ينحصر في خمسة أصوات فقط في اللغة العربية فيكون مجموع الأصوات الرخوة في اللغة العربية هو ضعف مجموع كل من الأصوات الرخوة والمتوسطة.

وقد اشتملت سورة البروج علىٰ أحداث متنوعة ومواقف متعددة لكل منها دلالة تختلف عن الأخرىٰ، فبعضها يحمل دلالة الوعيد والتهديد فتكون الأصوات شديدة تتلاءم وتنسجم مع ذلك الوعيد، وبعضها يحمل معنىٰ الرأفة والليونة والاتساع فتكون الأصوات رخوة تلتقي مع هذا المعنىٰ، وبعضها يحمل دلالة الامتداد والاستمرارية والتكرار فتكون الأصوات متوسطة بين الشدة والرخاوة، وفيما يلي بيان ذلك:

(١)علم اللغة مقدمة للقارئ العربي: ص١٤٩، وعلم الأصوات: د/ كمال بشر: ص١٩٩.

١- في قول الله ﷻ ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ نجد غلبة الأصوات الشديدة في الآية الكريمة علىٰ كل من الأصوات المتوسطة والرخوة؛ فقد اشتملت الآية الكريمة علىٰ ثمانية أصوات شديدة من إجمالي خمسة عشر صوتًا اشتملت عليها الآية، وهذه الأصوات هي (الهمزة، والباء(تكرر ثلاث مرات)، والطاء، والكاف، والدال(وقد تكرر مرتين) وهذه الأصوات تتناسب وطبيعة هذه الآية؛ فهي تتحدث عن شدة قوة وأخذ الله ﷻ للطغاة العصاة، فالبطش هو: الأخذ بشدة وقهر وعنف، قال الخليل:" والأخذ الشديد في كل شيء: بطش به، والله ذو البطشِ الشديد، أي: ذو البأس والأخذ لأعدائه"(١)، وقال ابن فارس:" (بطش) الباء والطاء والشين أصل واحد، وهو أخذ الشيء بقهر وغلبة وقوة. قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾"(٢)، وقال ابن سيده:" البَطْشُ التَّناولُ بِشدَّةٍ"(٣)، وقال ابن منظور:" البَطْش: التَّنَاوُلُ بِشِدَّةٍ عِنْدَ الصَّوْلة والأَخذُ الشديدُ فِي كُلِّ شَيْءٍ... والبَطْشُ: الأَخذ الْقَوِيُّ الشَّدِيدُ. وَفِي التَّنْزِيلِ: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾﴾(٤).. والبَطْشة: السَّطْوة والأَخذُ بالعُنْف"(٥).

وقد ذهب إلىٰ هذا المعنىٰ أيضًا طائفة من المفسرين، قال البيضاوي:" إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ مضاعف عنفه فإن البطش أخذ بعنف"(٦)، وقال السعدي:" ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ

(١) العين: ٦/ ٢٤٠(ش ط ب).
(٢) مقاييس اللغة: ١/ ٢٦٢(ب ط ش).
(٣) المحكم: ٨/ ٢٢(ش ط ب).
(٤)الشعراء: الآية: ١٣٠.
(٥) لسان العرب: ٦/ ٢٦٧(ب ط ش).
(٦) تفسير البيضاوي: ٥/ ٣٠١.

﴿لَشَدِيدٌ﴾ أي: إن عقوبته لأهل الجرائم والذنوب العظام [القوية] شديدة، وهو بالمرصاد للظالمين"(١).

فالمقام في هذه الآية هو مقام وعيد وتهديد لهؤلاء الجبابرة الذين فتكوا بالمؤمنين فتوعد الله ﷻ بشدة الانتقام والنيل منهم جزاء لما فعلوه بالمؤمنين، ولاشك أن هذا من شأنه أن يثير الرهبة والخوف في نفوس العصاة ومن ثم ناسب هذا المعنىٰ الأصوات الانفجارية القوية التي تتماشىٰ بطبيعتها مع هذا المقام؛ فالصوت الشديد هو صوت يقرع الآذان ويحرك الوجدان ويسترعي الانتباه فهي أصوات ذات وقع نغمي علىٰ الأذن.

وقد بين الإمام المراغي الدلالة النفسية التي تحملها هذه الآية الكريمة حيث قال:" ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ أي إن انتقامه من الجبابرة والظلمة، وأخذه إياهم بالعقوبة- لهو الغاية في الشدة، والنهاية في الأذىٰ والألم، وفي هذا إرهاب لقريش ومن معها، وتعزية لرسوله -ﷺ- ولمن معه"(٢).

وقد أكد هذه الدلالة ابن عاشور أيضًا إذ يقول:" وَبَطْشُ اللهِ يَشْمَلُ تَعْذِيبَهُ إِيَّاهُمْ فِي جَهَنَّمَ وَيَشْمَلُ مَا قَبْلَهُ مِمَّا يَقَعُ فِي الْآخِرَةِ وَمَا يَقَعُ...وَوَجْهُ الْخِطَابِ لِلنَّبِي ﷺ لِأَنَّ بَطْشَ اللهِ بِالَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ فِيهِ نَصْرٌ لِلنَّبِي ﷺ وتثبيت لَهُ"(٣).

ففي هذه الآية الكريمة تقرير لقوة الله الباهرة، وقدرته القاهرة فبطشه سبحانه شديد لا يحتمل، وآيات عزته وجبروته لا تُبارىٰ ولا تجارىٰ، وهذه الآية تذكير لكل من يعي

(١) تفسير السعدي: ص٩١٨.

(٢) تفسير المراغي: ٣٠/ ١٠٥.

(٣) التحرير والتنوير: ٣٠/ ٢٤٨.

الخطاب، ويفهم الوعظ الجميل بأن يتخلىٰ عن كبريائه، ويتنازل عن صلفه وغروره، وإلا فإنّ بطش الله تعالىٰ غير محتمل، وعذابه في غاية الشدة والعنف لا يقدر علىٰ تحمله بشر، وفي هذا عظة للمشركين وتطيب لقلب النبي -ﷺ- وتثبيت للمؤمنين، يقول الطبري في هذا الصدد:" إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ يَا مُحَمَّدُ لِمَنْ بَطَشَ بِهِ مِنْ خَلْقِهِ، وَهُوَ انْتِقَامُهُ مِمَّنِ انْتَقَمَ مِنْهُ لَشَدِيدٌ، وَهُوَ تَحْذِيرٌ مِنَ اللهِ لِقَوْمِ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ -ﷺ-، أَنْ يُحِلَّ بِهِمْ مِنْ عَذَابِهِ وَنِقْمَتِهِ، نَظِيرَ الَّذِي حَلَّ بِأَصْحَابِ الْأُخْدُودِ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ بِهِ، وَتَكْذِيبِهِمْ رَسُولَهُ، وَفِتْنَتِهِمُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ مِنْهُمْ"(١).

٢- وفي قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾ نلاحظ كذلك غلبة الأصوات الرخوة علىٰ أصوات الآية الكريمة، وهذه الأصوات تتلاءم مع طبيعة سياق الآية الكريمة فهي تتحدث عن رحمة الله ﷻ ولطفه بعباده فهو ﷻ يغفر الذنوب لمن تاب من عباده وأصلح ويعفو عن السيئات لمن استغفره وأناب، ويحب التوابين من عباده.

قال السعدي في تفسير الآية الكريمة:" ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ﴾ الذي يغفر الذنوب جميعها لمن تاب، ويعفو عن السيئات لمن استغفره وأناب، ﴿الْوَدُودُ﴾ الذي يحبه أحبابه محبة لا يشبهها شيء فكما أنه لا يشابهه شيء في صفات الجلال والجمال، والمعاني والأفعال، فمحبته في قلوب خواص خلقه، التابعة لذلك، لا يشبهها شيء من أنواع المحاب... وفي هذا سر لطيف، حيث قرن ﴿الودود﴾ بالغفور؛ ليدل ذلك علىٰ أن أهل الذنوب إذا تابوا إلىٰ الله وأنابوا، غفر لهم ذنوبهم وأحبهم"(٢).

---

(١) تفسير الطبري: ٢٤/ ٢٨١.

(٢) تفسير السعدي: ص٩١٨.

فالآية الكريمة تتحدث عن فضل الله ورحمته وكرمه ولطفه ومغفرته لعباده التائبين مهما كثرت ذنوبهم، ومن ثم ناسبها الأصوات الرخوة التي تتماشىٰ مع هذا المقام إذ يوحي السياق باللين والرأفة والحنان فكانت هذه الأصوات موائمة لإيحاءات النّص ودلالة العطف والرّقة فكانت أقرب لإيصال المعنىٰ المراد للسامع .

٣- وفي قوله تعالىٰ ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ نلاحظ غلبة الأصوات المتوسطة علىٰ الأصوات التي تكونت منها الآية الكريمة، إذ بلغ عدد الأصوات المتوسطة سبعة أصوات من جملة ثلاثة عشر صوتًا صامتا اشتملت عليها الآية الكريمة، وهذه الأصوات هي (العين وقد تكررت مرتان، واللام وقد تكرر ثلاث مرات، والميم ، والراء)، ولا شك أن هذه الأصوات تلاءمت والمعنىٰ العام للآية الكريمة، فالله ﷻ يخبرنا بأنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فلا راد لما يفعله أو يحكم به، قال الطبري :" يقول: ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ هو غفار لذنوب من شاء من عباده إذا تاب وأناب منها، معاقب من أصرّ عليها وأقام، لا يمنعه مانع، مِنْ فِعْل أراد أن يفعله، ولا يحول بينه وبين ذلك حائل، لأن له مُلك السموات والأرض، وهو العزيز الحكيم"(١)، وقال المراغي:" ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ أي لا يريد شيئًا إلا فعله وفق إرادته، فإذا أراد هلاك الجاحدين المعاندين ونصر أهل الحق الصادقين لم يعجزه ذلك، وأين هم ممن سبقهم ممن كانوا أضل منهم وأشد قوة"(٢).

فالآية الكريمة تتحدث عن كمال قدرة الله تعالىٰ فهو سبحانه لا يعجزه شيء ولا يمتنع عليه أي مخلوق ومن ثم جاءت الأصوات المتوسطة منسجمة مع هذا السياق

(١) تفسير الطبري: ٢٤/ ٣٤٦.

(٢) تفسير المراغي: ٣٠/ ١٠٥.

لأن هذه الأصوات تتميز بقوة الوضوح السمعي وبأنها أصوات ممتدة كما ذكرت سابقًا ومستمرة ولذلك فقد تلاءمت مع استمرارية قدرة الله ﷻ في كل وقت وحين، وتكرار صوت اللام ثلاث مرات في الآية الكريمة قد أحدث وقعًا كبيرًا في النفس والسمع لأنه إلىٰ جانب كونه من الأصوات المائعة فإنه يتميز بصفة الانحراف التي تساعد علىٰ لفت النظر وشد الانتباه إلىٰ هذه الصفة التي اتصف بها الرحمان مما يكون له وقعه في النفس فتصغىٰ الأذن إلىٰ السماع.

جـ_ دلالة أصوات القلقة:

ومن معانيها في اللغة التحريك والاضطراب[1]، وفي الاصطلاح اضطراب اللسان بالحرف عند النطق به ساكنًا حتىٰ يسمع له نبرة قوية، وحروفها خمسة، جمعها الحافظ ابن الجزري في مقدمته وطيبته بقوله: (قطب جد) وهي القاف والطاء والباء الموحدة والجيم والدال المهملة، وسميت بذلك؛ لأنها حال سكونها تتقلقل عند خروجها حتىٰ يسمع لها نبرة قوية – أي صوت عال – وذلك لأن من صفاتها الشدة والجهر، فالشدة تمنع الصوت أن يجري معها والجهر يمنع النفس أن يجري معها كذلك، فلما امتنع جريان الصوت والنفس مع حروفها احتيج إلىٰ التكلف في بيانها بإخراجها شبيهة بالمتحرك.

والقلقلة صفة لازمة لهذه الأحرف الخمسة لكنها في الساكن المشدد الموقوف عليه أقوىٰ منها في الساكن المخفف الموقوف عليه، وفي الساكن المخفف الموقوف

(١) لسان العرب: ١١/ ٥٦٧(ق ل ل).

عليه أقوىٰ منها في الساكن الموصول، وفي الساكن الموصول أقوىٰ منها في المتحرك الذي فيه أصل القلقلة فقط(١).

والمتأمل لسورة البروج يلاحظ أن أصوات القلقلة مثلت(٤٩ صوتًا) بنسبة ١١,٣٩٪ من عدد أصوات السورة الكريمة، وقد انتهت جميع فواصل السورة الكريمة بأصوات مقلقلة عدا الآيتين (١١، و٢٢)، وهذه الأصوات تتميز بالقوة والوضوح السمعي أكثر من غيرها، فيكون للصّوت المقلقل من سمات القوّة وطبيعة التأثير ما لا يكون لغيره من الأصوات لاجتماع صفتي الجهر والشدة فيه حال سكونه وهما من الصفات القوية التي تحتاج إلىٰ مجهود عضلي أكثر من غيرها، وهذه القوة تتناسب مع:

١- كمال قدرة الله وقوته إذ أقسم ﷻ بالسماء ذات البروج العالية، قال تعالىٰ في مستهل هذه السورة الكريمة: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ﴾ فعبر ﷻ بلفظ البروج للدلالة علىٰ عظم القدرة الإلهية، والبروج بها صوت مقلقل وهو: الجيم، والجيم تتميز بالجهر والشدة مما يجعلها أقوىٰ وأوضح في السمع وأوقع في النفس من غيرها، يقول الطبري في توضيح معنىٰ البروج:" .. وأولىٰ الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: معنىٰ ذلك: والسماء ذات منازل الشمس والقمر، وذلك أن البروج جمع برج، وهي منازل تتخذعالية عن الأرض مرتفعة .. وهي اثنا عشر برجًا، فمسير القمر في كلّ برج منها

(١) شرح طيبة النشر في القراءات، لشمس الدين أبي الخير ابن الجزري (المتوفىٰ: ٨٣٣ هـ)، ص٣٢، تحقيق: الشيخ أنس مهرة، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠ م، و الوافي في كيفية ترتيل القرآن الكريم، لأحمد محمود عبد السميع الشافعي الحفيان، ص٨٥، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠ م.

يومان وثلث، فذلك ثمانية وعشرون منزلا ثم يستسرّ ليلتين، ومسير الشمس في كلّ برج منها شهر"(١).

وقال الزمخشري:" ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ۝١﴾ : هي البروج الاثنا عشر، وهي قصور السماء علىٰ التشبيه. وقيل: الْبُرُوجِ النجوم التي هي منازل القمر. وقيل: عظام الكواكب. سميت بروجا لظهورها"(٢).

وقد ذكر أصحاب المعاجم اللغوية الدلالة اللغوية للفظة(البروج) فهي في اللغة تدور حول معنىٰ الظهور والحصون والقصور، قال الأزهري:" البروج: الحُصُون، واحدُها بُرْج، وَقَالَ اللَّيث: بُرُوج سُورِ الْمَدِينَة والحصن: بُيوتٌ تُبْنَىٰ علىٰ السّور، وَقد تُسمّي بيُوت تُبْنَىٰ علىٰ نَواحِي أَركان الْقَصْر بُروجًا"(٣).

وقال ابن فارس:" الباء والراء والجيم أصلان: أحدهما البروز والظهور، والآخر الوزر والملجأ، فمن الأول البرج وهو سعة العين في شدة سواد سوادها وشدة [بياض] بياضها.. والأصل الثاني البرج واحد بروج السماء، وأصل البروج الحصون والقصور"(٤).

ومن هنا يمكننا القول بأن الآية الكريمة تتحدث عن السماء ذات المنازل العالية المرتفعة كمنازل القمر والكواكب العظيمة والأجرام الضخمة فهذه الأجرام السماوية جميعها في حالة حركة مستمرة واضطراب شديد، وهذه الحركة المضطربة تتناسب مع صوت الجيم المقلقل حال الوقف عليه بالسكون حيث يخرج معه من الفم

(١) تفسير الطبري: ٢٤/ ٣٣٢.

(٢) تفسير الكشاف: ٤/ ٧٢٩.

(٣) تهذيب اللغة: ١١/ ٤٠(ج ر ب).

(٤) مقاييس اللغة: ١/ ٢٣٨(ب ر ج).

صويت ينبو به اللسان عن موضعه[١]، وبذلك يكون هذا الصوت المقلقل قد عبر عن معنىٰ الآية أنسب تعبير فتمكن من النفس أيما تمكن.

٢- قدرة الله تعالىٰ علىٰ الانتقام من الطغاة الجبابرة الذين عذبوا المؤمنين ونكلوا بهم أشد تنكيل، قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ ﴾.

فتجد أن الآية الكريمة اختتمت بصوت القاف وهو أحد أصوات القلقلة كذلك، وهذا الصوت يتناسب مع الجو النفسي العام للآية الكريمة، فهي تتحدث عن هؤلاء الطغاة الكفرة الذين عذبوا المؤمنين والمؤمنات وأحرقوهم بالنار ليفتنوهم عن دينهم فتوعدهم الله بالعذاب الشديد إن لم يتوبوا ويرجعوا عما فعلوه، قال ابن عطية في تفسير معنىٰ الآية الكريمة:" فَتَنُوا معناه: أحرقوا، وفتنت الذهب والفضة في النار أحرقتهما، والفتين حجارة الحرة السود لأن الشمس كأنها أحرقتها، ومن قال إن هذه الآيات الأواخر في قريش جعل الفتنة الامتحان والتعذيب، ويقوي هذا التأويل بعض التقوية قوله تعالىٰ: ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا لأن هذا اللفظ في قريش أحكم منه في أولئك الذين قد علم أنهم ماتوا علىٰ كفرهم، وأما قريش فكان فيهم وقت نزول الآية من تاب بعد ذلك وآمن بمحمد ﷺ، و «جهنم» و «الحريق» طبقتان من النار"[٢]، وقال غيره:" المعنىٰ: إِن الذين ابتلوا المؤمنين والمؤمنات في دينهم بالأَذىٰ والإِحراق بالنار لِيرتدوا عن دينهم ثم لم يرجع هؤُلاءِ عن فتنة المؤمنين وتعذبيهم، ولم يقلعوا عما فعلوا

(١) شرح طيبة النشر في القراءات: ص٣٢.

(٢)المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٥/ ٤٦٢.

ويندموا علىٰ ما أَسلفوا فلهم في الآخرة عذاب جهنم جزاء كفرهم، ولهم عذاب الحريق جزاء إِحراقهم المؤمنين"[١].

والحريق يستعمل في اللغة بمعنىٰ اشتعال النار، قال ابن دريد:" والحريق: اشتعال النَّار مَعْرُوف"[٢]،وقال الجوهري:" الحَرَقُ بالتحريك: النارُ... وتحرق الشيء بالنار واحترق. والاسم الحرقة والحريق" [٣]، وقال أبو هلال العسكري:" والحريق النَّار الملتهبة شَيْئا واهلاكها لَهُ وَلِهَذَا يُقَال وَقع الْحَرِيق فِي مَوضِع كَذَا"[٤]، وقال ابن سيده:" والحَرَيقُ: اضطرام النَّار وتحرقها، والحرِيق أَيْضا: اللَّهَبُ"[٥].

فالحريق لا يطلق إلا علىٰ النار التي التهمت ما حولها من الأشياء؛ فصوت القاف فيه جاء مناسبًا لأصوات النيران حال اضطرامها واشتعالها.

وقد جاء صوت القاف متماشيًا مع سياق الحال، فالموقف الذي تحكيه الآية الكريمة هو موقف هلع وخوف وهول شديد علىٰ النفس ففيه من الشدة ما فيه؛ إذ يقف الطغاة العصاة أمام هذا العذاب الذي أعده الله لهم جراء أفعالهم الشنيعة بالمؤمنين مذهولين تنتابهم حالة من الاضطراب والخوف والذعر والهلع، وهذا الشعور النفسي يحاكي صفة القلقلة التي اتصف بها صوت القاف .

يقول العلامة سيد قطب في هذا الصدد:" ولكن لابدّ أن يكون الجزاء من جنس العمل، إذ قابل التعبير القرآني حرق أصحاب الأخدود الّذي هو من عمل الخلق

---

(١)التفسير الوسيط للقرآن الكريم: ١٠/ ١٨٥٧.

(٢) الجمهرة: ١/ ٥١٩(ح ر ق).

(٣) الصحاح: ٤/ ١٤٥٧(ح ر ق).

(٤) الفروق اللغوية: ١/ ٣١١.

(٥) المحكم: ٢/ ٥٧٣(ح ق ر).

بحريق جهنّم وهو ومن الخالق، ولا وجه للمقارنة، كما أنّ عذاب الفتنة عند هؤلاء القوم أقلّ حدّة من عذاب إحراقهم المؤمنين؛ لذا كانت القاف أكثر دلالة علىٰ القرع والعِقاب فأُخِّرَ عند طرف الآية"[١].

٣- شدة تكذيب المشركين لرسول الله – ﷺ–، وقدرة الله ﷻ علىٰ الإحاطة بهم، فقد حكت لنا السورة الكريمة ذلك في قول الله ﷻ: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾﴾.

انتهت الآيتين الكريمتين بصوتين من أصوات القلقلة وهما(الباء والطاء) وكلا الصوتين يتلاءم مع سياق الحال، قال بعض المفسرين في تفسير الآيتين:" وخُتمت سورة " البروج " بتسفيه ما عليه الكفار من تكذيب وعناد، وتأكيد أنهم مهما كفروا وعاندوا فلن يستطيعوا الإفلات من قبضة الله، الذي هو لهم بالمرصاد، وذلك قوله تعالىٰ: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾﴾ وما دام الله سبحانه (محيطا بهم) فهو الذي ينطق بالقول الفصل في شؤونهم جميعا"[٢].

وقال السمرقندي:" ثم قال تعالىٰ: بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ يعني: إن الذين لا يعتبرون، ويكذبون الرسل والقرآن وَاللهُ مِنْ وَرائِهِمْ مُحِيطٌ يعني: اصبر يا محمد علىٰ تكذيبهم، فإن الله عالم بهم"[٣]، وقال الزمخشري:" والمعنىٰ: قد عرفت تكذيب تلك الجنود الرسل وما نزل بهم لتكذيبهم بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا من قومك فِي تَكْذِيبٍ أيّ:

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفىٰ: ١٣٨٥ هـ)، ٦/ ٣٨٨٤، الناشر: دار الشروق – بيروت– القاهرة، الطبعة: السابعة عشر – ١٤١٢ ه.

(٢)التيسير في أحاديث التفسير، لمحمد المكي الناصري (المتوفىٰ: ١٤١٤ هـ)، ٦/ ٤٠٦، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥ م.

(٣) بحر العلوم: ٣/ ٥٦٧.

تكذيب واستيجاب للعذاب، والله عالم بأحوالهم وقادر عليهم وهم لا يعجزونه. والإحاطة بهم من ورائهم: مثل لأنهم لا يفوتونه، كما لا يفوت فائت الشيء المحيط به. ومعنىٰ الإضراب: أن أمرهم أعجب من أمر أولئك، لأنهم سمعوا بقصصهم وبما جرىٰ عليهم، ورأوا آثار هلاكهم ولم يعتبروا، وكذبوا أشد من تكذيبهم"[1].

وقد أشار الإمام الرازي وبعض المفسرين إلىٰ الأثر النفسي التي تتركه هذه الآيات في قلب النبي وصحابته، حيث قال:" الْمَقْصُودُ من الآيتين بَيَانُ أَنَّ حَالَ الْمُؤْمِنِينَ مَعَ الْكُفَّارِ فِي جَمِيعِ الْأَزْمِنَةِ مُسْتَمِرَّةٌ عَلَىٰ هَذَا النَّهْجِ.. وَلَمَّا طَيَّبَ قَلْبَ الرَّسُولِ ﷺ بِحِكَايَةِ أَحْوَالِ الْأَوَّلِينَ فِي هَذَا الْبَابِ سَلَّاهُ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ، وَهُوَ قَوْلُهُ: وَاللهُ مِنْ وَرائِهِمْ مُحِيطٌ وَفِيهِ وُجُوهٌ أَحَدُهَا: أَنَّ الْمُرَادَ وَصْفُ اقْتِدَارِهِ عَلَيْهِمْ وَأَنَّهُمْ فِي قَبْضَتِهِ وَحَوْزَتِهِ، كَالْمُحَاطِ إِذَا أُحِيطَ بِهِ مِنْ وَرَائِهِ فَسُدَّ عَلَيْهِ مَسْلَكُهُ، فَلَا يَجِدُ مَهْرَبًا يَقُولُ تَعَالَىٰ: فَهُوَ كَذَا فِي قَبْضَتِي وَأَنَا قَادِرٌ عَلَىٰ إِهْلَاكِهِمْ وَمُعَاجَلَتِهِمْ بِالْعَذَابِ عَلَىٰ تَكْذِيبِهِمْ إِيَّاكَ فَلَا تَجْزَعْ مِنْ تَكْذِيبِهِمْ إِيَّاكَ، فَلَيْسُوا يَفُوتُونَنِي إِذَا أَرَدْتُ الِانْتِقَامَ مِنْهُمْ"[2]، وقال الإمام المراغي:" بعد أن ذكر قصص أصحاب الأخدود وبيّن حالهم، ووصف ما كان من إيذائهم للمؤمنين- أردف ذلك ببيان أن حال الكفار في كل عصر، وشأنهم مع كل نبي وشيعته جار علىٰ هذا المنهج، فهم دائما يؤذون المؤمنين ويعادونهم، ولم يرسل الله نبيا إلا لقىٰ من قومه مثل ما لقىٰ هؤلاء من أقوامهم.

(١) الكشاف: ٤/ ٧٣٣.

(٢) التفسير الكبير: ٣١/ ١١٥.

والغرض من هذا كله تسلية النبي وصحبه، وشد عزائمهم علىٰ التدرّع بالصبر، وأن كفار قومه سيصيبهم مثل ما أصاب الجنود: فرعون، وثمود.. فلا تجزع من تكذيبهم واستمرارهم علىٰ العناد، فلن يفوتوني إذا أردت الانتقام منهم"[١] .

ومن هنا يمكن القول بأن الغرض من هذه الآيات: تسلية وتطيب قلب النبي والصحابة والتعريض بالمشركين بأنه سيحل بهم ما حل بالأمم السابقة التي كذبت رسلتها ونكلت بالمؤمنين بهم.

فسياق الآيات يحمل الوعد والوعيد والتهديد لهؤلاء الكفار المكذبين الذين لا حجة ولا برهان لهم علىٰ هذا الكذب والعناد بل هو تكذيب سببه الحسد، وقد توعدهم الله علىٰ هذا الكذب بأنه – سبحانه تعالىٰ – متمكن منهم، عالم بهم، قادر عليهم، قاهر لهم لا يفوتونه ولا يعجزونه، والإحاطة بهم من ورائهم ؛ لأنهم لا يفوتونه كما لا يفوت الشَّيءُ من الشَّيءِ المحيط به، فالكلام تصوير لعدم نجاتهم من بأْس الله[٢].

وقد وصِفُ علماءُ الأصوات حرفَ الباء بأنّه صوت من أصوات القلقلة التي تجمع بين الشِّدَّة والجهر، والقلقلة بِحَدِّ ذاتها تعَرّف بأنّها: شِدَّة الصّوت[٣].

وهذا الحرف إذا ما لُفظَ في مقدمة اللَّفظة دونَما مَدٍّ فإنه بحكم خروج صوته من انفراج الشّفتين بعد انطباقهما علَىٰ بعضها بعضا، هو أصلح ما يكون لتمثيل الأحداث التي تنطوي معانيها علىٰ الانبثاق والظهور والسيلان، بما يحاكي واقعة انبثاق صوته من بين الشّفتين إيماءً وتمثيلاً، وعند الجمع بين هذه الأقوال نلاحظ أنّ هذا الحرف

(١) تفسير المراغي: ٣٠/ ١٠٦، ١٠٧.

(٢) التفسير الوسيط للقرآن الكريم: ١٠/ ١٨٦١.

(٣) لسان العرب: ١١/ ٥٦٧(ق ل ل).

ينسجم تماماً ومعنىٰ التعبير الشفوي بالفم واللِّسان، فعندما ينوي الإنسان التكلم تنفرج شفتاه؛ فتنبثق عنهما أصوات، وتظهر كلمات، تؤدِّي معنىً خاصّاً(١).

فالباء حرف تدل خصوصيته الصّوتية علىٰ التكلُّم والنطق، وليس أدلّ علىٰ ذلك من اصطلاح العلماء علىٰ المرحلة التي يبدأ بِها الطفل بتلفُّظ أُولىٰ الحروف اصطلاح (البأبأة)، وهي ثاني مرحلةٍ من مراحل نشوء اللغة عند الطفل، وإنما أطلق عليها هذه التسمية لسبب بدهي وبسيط، هو أنه قد لُوحظ أنّ أوّل صوتٍ يلعب به الطفل في بدءِ نُضجه هو الباء، كان ذلك بالنسبة إلىٰ جميع الأطفال بلا استثناء.

وقد يأتي الطفل بأصواتٍ أخرىٰ مع الباء، مثل التاء، أو الميم، أو الحاء، أو الخاء، أو الكاف. ولكن المهمّ أنه ينطق بالباء أولاً، فإذا لاحَظَ مَن حولُه أنه أَتَىٰ بهذا الصّوتِ المُحَبَّب بادَروا إلىٰ تَشجيعِهِ، وأخَذوا يُردِّدون له هذا الصَّوتَ ترديداً مُستمِّراً، واصطلاح (البأبأة) يعادله في الانجليزية مصطلح (babbling) أو (babble) ومعناه: يتكلم علىٰ نحوٍ يصعُب فهمُه، يُغمغِم »أو إنّه بتعبير أدقّ « نطق الطفل الصغير بكلام مختلط يعوزه النظام والوضوح والمعنىٰ، ولا يخفىٰ ما لوجه الاشتراك بين المصطلحين العربي والانجليزي – وهو تكرار حرف الباء- من دلالة علىٰ ارتباط هذا الصوت بمعناه.

إذن فالدلالة الصوتية لحرف الباء لا تكاد تخلو من معنىٰ النطق والكلام(٢).

وهذه الدلالة تتناسب مع سياق الآية الكريمة ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾﴾

(١) خصائص الحروف العربية ومعانيها: عباس حسن: ص٩٩.

(٢) خصائص الحروف العربية ومعانيها: عباس حسن: ص٩٩.

فتكذيب المشركين للرسول-ﷺ- لا يعدو أن يكون كلامًا باطلا لا دليل ولا برهان عليه يخاطب العقل والوجدان، فهو كلام وأقوال باطلة غير صحيحة ومن ثم اختتمت الفاصلة في هذه الآية الكريمة بصوت الباء المقلقل قلقلة كبرىٰ حال الوقف عليه بالسكون ليتناسب مع هذه الأقوال الكاذبة المضطربة غير المستندة إلىٰ دليل أو حجة، فجاء صوت الباء متناسبًا مع معنىٰ الفاصلة ومضمون الآية الكريمة.

ووصف صوت الطاء كذلك بأنه صوت من أصوات القلقلة التي يجمع بين الشدة والجهر وقد عبر عن معنىٰ الآية الكريمة أنسب تعبير فهو يتناسب مع إحكام إحاطة الله-ﷻ- بهؤلاء الكفرة المكذبين، وإحكام قبضته عليهم وتمكنه منهم بحيث لا يستطيع أن يفلت من قبضته أحد منهم.

ولا يخفىٰ أن مجرد تصور هؤلاء الكفرة لهذه الإحاطة من الله لهم من شأنه أن يترك هذا التصور وقعًا كبيرًا في نفوسهم؛ فهو أمر شديد ثقيل علىٰ النفس يبث فيهم حالة من الاضطراب والخوف والذعر والهلع، وهذا الشعور النفسي يحاكي صفة القلقلة التي اتصف بها صوت الطاء فجاء متلائمًا مع مضمون الآية الكريمة.

٤- شدة وفظاعة أهوال يوم القيامة، وقد حكت لنا السورة الكريمة ذلك في قول الله ﷻ: ﴿وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ ۝٣﴾.

انتهت الآيات الكريمات بصوت الدال وهو أحد أصوات القلقلة التي تجمع بين صفتي الشدة والجهر، وقد تناغم هذا الصوت مع معنىٰ الآيتين، يقول المراغي في تفسير الآيتين:" واليوم الموعود: هو يوم القيامة؛ لأن الله قد وعد به، والشاهد والمشهود: جميع ما خلق الله تعالىٰ في هذا العالم، فإن كل ما خلقه شاهد علىٰ جليل قدرته وعظيم حكمته، وأقسم بما هو غيب صرف، وهو اليوم الموعود وما يكون فيه من حوادث البعث والحساب والعقاب والثواب، وأقسم بما هو شهادة صرفة وهو

الشاهد: أي ذو الحس، والمشهود: وهو ما يقع عليه الحس"[١]، وقال السعدي أيضًا:" ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ وهو يوم القيامة، الذي وعد الله الخلق أن يجمعهم فيه، ويضم فيه أولهم وآخرهم، وقاصيهم ودانيهم، الذي لا يمكن أن يتغير، ولا يخلف الله الميعاد، ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ وشمل هذا كل من اتصف بهذا الوصف أي: مبصر ومبصر، وحاضر ومحضور، وراء ومرئي.

والمقسم عليه، ما تضمنه هذا القسم من آيات الله الباهرة، وحكمه الظاهرة، ورحمته الواسعة"[٢].

فاليوم الموعود هو يوم القيامة، والشاهد والمشهود هم الخلائق جميعهم، والقسم بهما للتنبيه لهول المشهد في هذا اليوم العظيم مما يثير في النفس الخوف والرعب والفزع والقلق والاضطراب من شدة أهوال ذلك اليوم العظيم وهذا كله يتناسب مع صفة القلقلة في الدال التي تدل علىٰ الاضطراب والحركة، فصوت الدال جاء متناغمًا ومنسجمًا مع دلالة الآيات الكريمات؛ فهو يصور حالة الاضطراب التي أصابت المشركين يوم القيامة بعد تيقنهم بأن الله تعالىٰ سيقتص للمؤمنين الموحدين منهم، فيصبهم الغم والحزن والاضطراب جراء ما اقترفوه في حق المؤمنين.

(١) تفسير المراغي: ٣٠/ ٩٨، ٩٩.

(٢) تفسير السعدي: ص٩١٨.

المطلب الثاني: دلالة الأصوات الصائتة وعلاقتها بالأثر النفسي

الصوائت جمع صائت، ويعرف الصائت بأنه ذلك الصوت "المجهور" الذي يحدث في تكوينه أن يندفع الهواء في مجرىٰ مستمر خلال الحلق والفم، وخلال الأنف معهما أحيانًا، دون أن يكون ثمة عائق "يعترض مجرىٰ الهواء اعتراضًا تامًا" أو تضييق لمجرىٰ الهواء من شأنه أن يحدث احتكاكًا مسموعًا(١).

إذن فالحركات أصوات انطلاقية، لا يحدث أي عائق للتيار المنتج لها أثناء خروجه من الرئتين، وهي مجهورة باتفاق العلماء.

والصوائت في العربية ستة، هي: الفتحة والكسرة والضمة، وتسمىٰ بالصوائت أو الحركات القصيرة، وألف المد وياء المد واو المد وتسمىٰ بالصوائت أو الحركات الطويلة.

والفرق بين الحركات القصيرة وحروف المد يرجع إلىٰ الكم فقط؛ فهي تنتج بطريقة واحدة، إلا أن زمن نطق حروف المد هو ضعف زمن نطق الحركات القصيرة(٢).

فالصفة الأصلية التي تجمع أدوات اللين هو أنه عند النطق بها يندفع الهواء مارًا من الحنجرة ثم يتخذ مجراه كما يحدث مع الأصوات الرخوة، أو تحبس النفس ولا تسمح له بالمرور ما يحدث مع الأصوات الشديدة؛ فالصفة التي تختص بها أصوات اللين هي كيفية مرور الهواء في الحلق والفم وخلو مجراه من حوائل أو موانع.

وإذا تتبعنا آيات سورة البروج نجد أصوات المد قد مثلت نحو ٢٧ ,١٦٪ من عدد أصوات السورة الكريمة كما يتضح ذلك في الجدول الآتي:

---

(١)علم اللغة مقدمة للقارئ العربي: ص١٢٤، الأصوات اللغوية: ص٢٦، والمدخل إلى علم اللغة: ص٤٢.

(٢) الأصوات اللغوية: ص٢٦.

الصوائت الطويلة	عدد مرات التكرار
الألف	٢٧
الواو	٢١
الياء	٢٢

من هذا الجدول يتضح لنا أن تعداد الصوائت الطويلة في سورة البروج كالآتي:

الألف: ٢٧ ,٦٪، والواو: ٨٨ ,٤٪، والياء: ١١ ,٥٪.

فقد تكررت هذه الأصوات نحو سبعين مرة في هذه السورة الكريمة، وتتصف أصوات المد في جميع اللغات بأنها أوضح في السمع من غيرها، وبأنها كثيرة التداول والاستعمال وتمتاز بدقة النطق بها فأي انحراف في نطقها يجعلها نابية في النطق(١).

وهذا التكرار لأصوات المد إنما يخضع لمعطيات نفسية يقتضيها المعنىٰ العام للسورة، وهذه الصوائت جاءت لتدل علىٰ:

١- قوة دلالة القسم وتعظيمه في النفوس، يتمثل ذلك في قول الله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ۝١ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ ۝٣﴾.

فقد اشتملت الآيات الكريمات علىٰ أصوات المد الطويلة (الألف والواو) لتهويل أمر المقسوم عليه، وقد اختتمت الآيات بالواو المدية وهي أقوىٰ حروف المد، فقد وصفها علماء الأصوات بكونها أصعب أصوات المد الطويلة نطقًا(٢) ومن ثم فقد

(١) أصوات العربية بين التحول والثبات، د/ حسام سعيد النعيمي، ص١٧، وزارة التعليم والبحث العلمي، بغداد، طبعة ١٩٨٩م.

(٢) سر صناعة الإعراب: ١/ ٢١.

أتت متسقة مع المعنىٰ المراد من الآيات الكريمات، فهذا الامتداد الصوتي يثير في الذهن أهمية المقسم به، وعظيم شأن المقسم ﷻ.

كما أن أصوات المد في الآيات الكريمات وما تستغرقه من أزمنة طويلة للنطق بها جاءت كذلك لتحكي أهوال يوم القيامة وعظم ذلك اليوم وما يحدث فيه من أهوال تجعل الناس من شدتها حيارىٰ وكأنهم سكارىٰ كما حكىٰ لنا القرآن الكريم ذلك في سورة الحج.

وقد أقسم ﷻ بهذا اليوم ليثير الرعب في نفوس أصحاب الأخدود جراء ما اقترفوه من جرم عظيم في حق الموحدين.

٢- مدىٰ قسوة العذاب الذي تعرض له أصحاب الأخدود وشدة لهيب النار التي أحرقت المؤمنين، وما أحدثته من إيذاء وإيلام لهم، يتمثل ذلك في قول الله تعالىٰ ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾﴾

اشتملت الآيات الكريمات علىٰ أصوات المد الثلاثة لاسيما صوت الواو الذي يحتاج إلىٰ وقت طويل أثناء النطق به مما يوحي بطول واتساع تلك الأخاديد(الشقوق)

التي أعدت للمؤمنين، كما يوحي كذلك هذا الامتداد الصوتي لأصوات المد في الآيات الكريمات بالصورة التي عليها تلك النار التي ألقي فيها المؤمنون وفي ذلك تبيين لعظم ذلك الجرم الذي ارتكبوه في حق المؤمنين الموحدين، وبيان مدىٰ قوة وعزيمة المؤمنين أمام هذا العذاب الشنيع .

كما يوحي صوت المد الطويل في كلمة (قعود)بأن قعود أصحاب الأخدود حول النار يشاهدون حريق النار قد استمر وقتًا طويلا مما يوحي بقسوة قلوبهم وشدة العذاب الذي تعرض له هؤلاء الموحدون.

فأصوات المد في هذه الآيات الكريمات جاءت لتعكس وضوح المعنىٰ المراد من هذه الآيات وهو تعظيم فعل أصحاب الأخدود وتشديد الوعيد لهم من قبل المولىٰ – ﷻ– لإلقاء الرعب في قلوبهم زجرًا لهم عما فعلوه في حق المؤمنين الموحدين.

٣– مدىٰ شدة العذاب الذي توعد الله به الكافرين، ومدىٰ النعيم الذي سيتنعم به المؤمنون جزاء صبرهم وثباتهم علىٰ الحق، قال الله تعالىٰ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾﴾.

اشتملت الآيات الكريمات علىٰ أصوات المد الثلاثة (الألف والياء والواو) التي تركت أثرها في دلالة هذه الآيات الكريمات؛ فهذه الآيات تتحدث عن جزاء الكفار الذين أحرقوا المؤمنين، كما تبين لنا كذلك جزاء المؤمنين وما أعده الله لهم من نعيم مقيم، وجاءت أصوات المد في الآيات الكريمات لتعكس بوضوح الصورة التي سيكون عليها هذا العذاب لأن هذه الأصوات تتسم بالوضوح السمعي والظهور أكثر من غيرها، كما أن إطالة الصوت معها يوحي بطول الزمن واستمرار العذاب الذي سيلقىٰ فيه هؤلاء الطغاة الجبابرة جزاء لهم علىٰ ما اقترفوه في حق المؤمنين الموحدين، وقد اختتمت فاصلة الآية الكريمة الأولىٰ (الحريق)بصوت المد (الياء)الذي يستغرق وقتًا طويلا في النطق إذا ما قورن بغيره من الأصوات ليعكس مدىٰ

شدة هذا العذاب ومدىٰ قوته، كما يعكس لنا كذلك طول هذا العذاب وامتداده واستمراره إلىٰ زمن طويل تنكيلا لهؤلاء المجرمين علىٰ ما اقترفوه في حق الموحدين.

وفي الآية الكريمة الثانية غلبت الألف علىٰ أصوات المد الأخرىٰ مما يتلاءم مع سياق الآية الكريمة، فالآية الكريمة تتحدث عن جزاء المؤمنين وما أعده الله لهم من نعيم مقيم جزاء صبرهم وثباتهم علىٰ دينهم مع ما لاقوه من مشقة وعذاب من الكفار، ومن ثم ناسبها الألف لأنها أخف أصوات المد كما قال ابن جني:" والحروف التي اتسعت مخارجها ثلاثة: الألف، ثم الياء، ثم الواو، وأوسعها وألينها الألف.. أما الألف فتجد الحلق والفم معها منفتحين، غير معترضين علىٰ الصوت بضغط أو حصر،" (١)؛ وهذا يفسر لنا كثرة ورودها في سورة البروج بصفة عامة وفي الآية الكريمة بصفة خاصة، فالسعة التي في الألف تتناسب مع سعة رحمة الله بعباده المؤمنين وما أعده الله ﷻ من نعيم مقيم لهم، كما أن جميع أصوات المد في الآية الكريمة تعكس بوضوح صورة هذا النعيم الأبدي الذي وعد الله به المؤمنين فامتداد زمن النطق بهذه الأصوات يحاكي امتداد واستمرار هذا النعيم لهؤلاء الموحدين الصابرين .

٤- مدىٰ رحمة الله تعالىٰ وحلمه بعباده العصاة التائبين، قال الله تعالىٰ في ذات السورة الكريمة ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾

اشتملت الآية الكريمة علىٰ صوت المد الطويل التي جاء منسجمًا مع دلالتها، فهي تتحدث عن رحمة الله بعباده التائبين فهو ﷻ يغفر الذنوب لمن تاب من عباده وأصلح ويعفو عن السيئات لمن استغفره وأناب، ويحب التوابين من عباده.

(١) سر صناعة الإعراب: ١/ ٢١.

فالآية الكريمة اشتملت علىٰ الصائت الطويل وهو واو المد التي تحتاج إلىٰ جهد عضلي كبير أثناء النطق بها، وهذا الامتداد في النطق يحاكي امتداد عفوه ﷻ واستمراره، فهو دائم العفو والستر علىٰ عباده مهما تكررت منهم الذنوب؛ فلن يغلق باب التوبة في وجوههم، وكذلك محبته شاملة لجميع خلقه علىٰ امتداد الأزمان حتىٰ العصاة منهم فبتوبتهم يغفر لهم ويحبهم مهما كانت ذنوبهم.

وهكذا نجد أن الأصوات جميعها من صوامت وصوائت قد تكاتفت لتناسب وتحاكي الأجواء النفسية المتباينة في سورة البروج من حيث القوة والضعف والشدة واللين.

المبحث الثاني:

الدلالة الصرفية في سورة البروج في ضوء علم اللغة النفسي

تلعب البنية الصرفية دورًا بالغ الأهمية في تحقيق معاني الكلمات وبيان دلالاتها المختلفة؛ إذ من خلالها نستطيع التمييز بين الكلمات المتشابهة في الحروف والمختلفة في المعاني بناءً علىٰ التغيير في الصيغ الصرفية المستخدمة؛ لهذا السبب فإن البنية الصرفية تعد أساسًا لفهم واستخدام اللغة بشكل دقيق وفعّال(١).

من ناحية أخرىٰ يطلق علىٰ الدلالة الصرفية مسمىٰ "الوظائف الصوتية للكلمة"، وهو تعبير يعكس الكيفية التي يمكن أن تؤثر بها الأصوات والتغيرات الصوتية علىٰ معاني الكلمات. يُعتبر هذا الجانب من الدلالة جزءًا من البنية اللغوية التي تتيح التنوع والتعقيد في التعبير اللفظي من خلال الأصوات والنماذج المصرفية المختلفة (٢)، وتأت الدلالة الصرفية في القوة بعد الدلالة الصوتية؛ حيث تستمد قوتها من الدلالة الصوتية؛ لأنها الصورة التي يحملها اللفظ ويخرج ويستقر عنها(٣).

وتعد دراسة البنية أساسًا في فهم الظاهرة اللغوية الواردة في النص القرآني؛ فلعلم الصرف دور لا يقل أهمية عن دور علوم اللغة الأخرىٰ في كشف دلالات القرآن الكريم، وبيان معانيه الدقيقة؛ إذ تأتي البنية الصرفية معمقة كاشفة موضحة لدلالات القرآن الكريم(٤).

---

(١)الدلالة الصرفية وأثرها في تحديد معاني الكلمات، مقال نشر علىٰ موقع https://bahethoarabia.com/dlalhsrfih

٩ديسمبر٢٠٢٤م.

(٢) السابق نفسه.

(٣) الخصائص:٣/ ١٠٠.

(٤) البنية الصرفية وأثرها في الدلالة القرآنية(سورة الواقعة نموذجًا)، دكتور أحمد أبو بكر الصديق، ص١٧٦٩، مجلة كلية اللغة العربية بالمنوفية، العدد السابع والثلاثون، إصدار يونيو٢٠٢٢م.

المطلب الأول: الدلالة الزمنية في صيغة الأفعال

يستفاد الزمن الصرفي من صيغة الفعل حيث تدل كل صيغة علىٰ معناها الزمني، فصيغة (فَعَل) تفيد وقوع الحدث في الزمن الماضي، وصيغة (يفعل): تفيد وقوع الحدث في الحال أو الاستقبال، وصيغة (افعل): تفيد وقوع الحدث في الحال أو الاستقبال(١).

وقد جاء الفعل في سورة البروج في أربعة عشر موضعًا وقد تنوع ما بين الأفعال الماضية(قُتِلَ ،نَقَمُوا، فَتَنُوا ، ءَامَنُوا ، وَعَمِلُوا ، أَنَكَ ،كَفَرُوا)، والأفعال المضارعة (يَفْعَلُونَ ، يُؤْمِنُوا ، يَتُوبُوا ،تَجْرِى، يُبْدِئُ، وَيُعِيدُ،يُرِيدُ)(٢).

أولا: دلالة الأفعال الماضية:

١- في قوله تعالىٰ: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤﴾ عبر الله ﷻ بلفظ الماضي المبني لما لم يسم فاعله وهو (قُتِل)، وقد اختلف المفسرون في تأويله علىٰ قولين هما:

الأول: أن الفعل هنا استعمل بمعناه الحقيقي وهو القتل؛ لأن القتل في أصل معناه: إزالة الروح عن الجسد، والإماتة(٣)؛ فيكون المراد هنا: أن هؤلاء المؤمنين قُتلوا بالإحراق بالنار، فَيَكُونُ ذَلِكَ خَبَرًا لَا دُعَاءً، وقد يكون المراد أيضًا: أن هؤلاء الكفار الذين قتلوا المؤمنين قد قتلهم الله وأهلكهم وانتقم منهم.

---

(١) اللغة العربية معناها ومبناها: ص٢٤١.

(٢) خلت سورة البروج من فعل الأمر ويمكن تفسير ذلك بأن السورة الكريمة قائمة علىٰ سرد أحداث مضت وانتهت وأحداث حالية وأخرىٰ مستقبلية فناسبها الأفعال الماضية والمضارعة، أما فعل الأمر فلا يتناسب وأسلوب السرد والحكي.

(٣) ينظر: مقاييس اللغة: ٥/ ٥٦(ق ت ل).

قال الرازي في هذا الصدد:" يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِأَصْحَابِ الْأُخْدُودِ الْقَاتِلِينَ، وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهِمُ الْمَقْتُولِينَ، وَالرِّوَايَةُ الْمَشْهُورَةُ أَنَّ الْمَقْتُولِينَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ، وَرُوِيَ أَيْضًا أَنَّ الْمَقْتُولِينَ هُمُ الْجَبَابِرَةُ لِأَنَّهُمْ لَمَّا أَلْقَوُا الْمُؤْمِنِينَ فِي النَّارِ عَادَتِ النَّارُ عَلَىٰ الْكَفَرَةِ فَأَحْرَقَتْهُمْ وَنَجَّىٰ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهَا سَالِمِينَ"(١).

والثاني: أن يكون الفعل هنا قد خرج عن معناه الحقيقي إلىٰ معنىٰ الدعاء علىٰ هؤلاء الكفار أو الطغاة الذين قتلوا المؤمنين بالقتل أو اللعن أو الطرد والإبعاد عن رحمة الله تعالىٰ؛ وقد عبَّر المفسِّرون عن معنىٰ «قُتِلَ»: لُعِنَ، وهو تفسير بالمعنىٰ؛ لأن من دعا عليه الله بالقتل، فقد طرَدَه من رحمته، وهو معنىٰ اللعن(٢).

فعلىٰ هذا القول يكون معنىٰ القتل هنا: كناية عن اللعن؛ أي لعنوا حين قعدوا علىٰ النار لتحريق المؤمنين، وذلك من حيث إن القتل لكونه أغلظ العقوبات لا يقع إلا عن سخط عظيم يوجب الإبعاد عن الخير والرحمة الذي هو معنىٰ اللعن فكان القتل من لوازم اللعن كأنه قيل أقسم بهذه الأشياء أن كفار مكة ملعونون كما لعن أصحاب الأخدود(٣).

قال السعدي:" ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾ وهذا دعاء عليهم بالهلاك"(٤).

---

(١) تفسير الرازي: ٣١/ ١١٠.

(٢) تفسير جزء عم، تأليف: د مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، ص٥٤، الناشر: دار ابن الجوزي، الطبعة: الثامنة، ١٤٣٠هـ.

(٣) روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفىٰ الإستانبولي الحنفي الخلوتي (المتوفىٰ: ١١٢٧ هـ)، ١٠/ ٣٨٦، الناشر: دار الفكر – بيروت.

(٤) تفسير السعدي: ص٩١٨.

وقال ابن عاشور:" وَقَوْلُهُ: قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ صِيغَتُهُ تُشْعِرُ بِأَنَّهُ إِنْشَاءُ شَتْمٍ لَهُمْ شَتْمُ خِزْيٍ وَغَضَبٍ وَهَؤُلَاءِ لَمْ يُقْتَلُوا فَفِعْلُ قُتِلَ لَيْسَ بِخَبَرٍ بَلْ شَتْمٌ نَحْوَ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ﴿١٠﴾﴾[1] ، وَقَوْلِهِمْ قَاتَلَهُ اللهُ، وَصُدُورُهُ مِنَ اللهِ يُفِيدُ مَعْنَىٰ اللَّعْنِ وَيَدُلُّ عَلَىٰ الْوَعِيدِ لِأَنَّ الْغَضَبَ وَاللَّعْنَ يَسْتَلْزِمَانِ الْعِقَابَ عَلَىٰ الْفِعْلِ الْمَلْعُونِ لِأَجْلِهِ.

وَقِيلَ: هُوَ دُعَاءٌ عَلَىٰ أَصْحَابِ الْأُخْدُودِ بِالْقَتْلِ كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴿١٧﴾﴾[2] وَالْقَتْلُ مُسْتَعَارٌ لِأَشَدِّ الْعَذَابِ كَمَا يُقَالُ: أَهْلَكَهُ اللهُ، أَيْ أَوْقَعَهُ فِي أَشَدِّ الْعَنَاءِ"[3].

وقال ابن كثير:" (قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ): أَي؛ لعن أَصحاب الأُخدود - وهذا خبر عن قوم من الكفار عمدوا إِلىٰ من عندهم من المؤمنين بالله -ﷻ- فقهروهم وأَرادوهم أَن يرجعوا عن دينهم، فأَبوا عليهم، فحفروا لهم في الأَرض أُخدودًا وأَجّجوا فيه نارًا وأعدوا له وقودًا يسعرونها به، ثم أَرادوهم علىٰ الكفر فلم يقبلوا منهم فقذفوهم فيها"[4].

أما عن الدلالة النفسية التي تكمن وراء استعمال هذا الفعل علىٰ هذه الصيغة فهي تنبيه كفار قريش الذين يؤذون المؤمنين ليصدوهم عن دينهم بأنهم ملعونون مطردون من رحمة الله تعالىٰ كما لعن أصحاب الأخدود الذين أحرقوا المؤمنين والجامع

---

(١)الذاريات: الآية (١٠).

(٢) عبس: الآية (١٧).

(٣) التحرير والتنوير: ٣٠/ ٢٤٠.

(٤) تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت: ٧٧٤ هـ)، ٨/ ٣٦٦، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

بينهما هو اشتراكهما في تعذيب المؤمنين وإلحاق الأذىٰ بهم ليرجعوهم عن دينهم، وفي ذلك تحذير للكفار ووعيد شديد لهم وتثبيت للمؤمنين وتذكيرهم بمصير هؤلاء الكفار الطغاة بأنهم قد لعنوا وطردوا من رحمة الله بسبب كفرهم وبغيهم فيكون ذلك أدعىٰ إلىٰ تمسكهم بدينهم والصبر علىٰ ما هم فيه من بلاء.

قال الزمخشري في هذا الصدد:" أقسم بهذه الأشياء أنهم ملعونون، يعنىٰ كفار قريش كما لعن أصحاب الأخدود، وذلك أن السورة وردت في تثبيت المؤمنين وتصبيرهم علىٰ أذىٰ أهل مكة، وتذكيرهم بما جرىٰ علىٰ من تقدّمهم: من التعذيب علىٰ الإيمان، وإلحاق أنواع الأذىٰ، وصبرهم وثباتهم، حتىٰ يأنسوا بهم ويصبروا علىٰ ما كانوا يلقون من قومهم، ويعلموا أن كفارهم عند الله بمنزلة أولئك المعذبين المحرقين بالنار، ملعونون أحقاء بأن يقال فيهم: قتلت قريش، كما قيل: قتل أصحاب الأخدود وقتل: دعاء عليهم، كقوله قُتِلَ الْإِنْسانُ ما أَكْفَرَهُ"(١).

وخلاصة ما تقدم أن استعمال الفعل(قتل) في الآية الكريمة فيه إيحاء بمدىٰ غضب الله تعالىٰ

علىٰ هؤلاء الكفرة المعتدين لقوة عنادهم ومبالغتهم في إيذاء المؤمنين، كما تدل علىٰ شناعة الذنب الذي يثير غضب الحليم، ونقمته، ووعيده بالقتل لفاعليه.

٢- أما بقية الأفعال الماضية التي جاءت في هذه السورة الكريمة فقد استعملت في معناها الحقيقي وهو إفادة وقوع الحدث في الزمن الماضي فبناء (فَعَل) كما ذكر النحاة يأتي كثيرًا لسرد أحداث ماضية في أساليب القصص وغالبًا ما يعبر هذا البناء

(١) الكشاف: ٤/ ٧٢٩.

عن مرحلة زمنية تنتهي لتبدأ مرحلة أخرىٰ[١]، وهو ما يتناسب مع سرد أحداث السورة الكريمة؛ ففي قوله تعالىٰ ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾﴾

جاء الفعل الماضي هنا(نقموا) ليدل علىٰ معناه الحقيقي، قال بعض المفسرين في بيان المراد من هذا الفعل: " (وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ): أَي: وما أَنكروا منهم وما عابوا عليهم وما كان ذنبهم عندهم إِلا إِيمانهم بالله، إِنْ عُدَّ ذلك ذنبًا وجرمًا يستحق الإِنسان عليه العقاب والمؤاخذة، وهو من باب تأْكيد المدح بما يشبه الذم"[٢].

وقال الزمخشري أيضًا:" وَما نَقَمُوا مِنْهُمْ وما عابوا منهم وما أنكروا إلا الإيمان"[٣]، وقال المراغي:" وما نقموا منهم: أي ما عابوا عليهم"[٤].

وفي قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾

قال بعض المفسرين في بيان المراد من الفعل الماضي في هذه الآية الكريمة :" إِن الذين ابتلوا المؤمنين والمؤمنات في دينهم بالأَذىٰ والإِحراق بالنار لِيرتدوا عن دينهم.. قيل: يجوز أَن يكون المراد بـ (الَّذِينَ فَتَنُوا) أَصحاب الأُخدود خاصة، وبـ (الَّذِين آمَنُوا) المطروحين في الأُخدود... وقال بعضهم، المراد بالذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات: كفار قريش الذين عذبوا المؤمنين والمؤمنات بكل أَنواع العذاب كعمار

(١) دلالة الفعل الماضي في القرآن الكريم، لطيف نجاح شهيد القصاب، ص١٧، بحث ماجستير نشر في مجلة كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة بابل، العراق، ٢٠١١م.

(٢)الوسيط: ١٠/ ١٨٥٦

(٣) الكشاف: ٤/ ٧٣١.

(٤) تفسير المراغي: ٣٠/ ٩٨.

وياسر وبلال، والأصوب العموم، ليشمل كل من صد عن سبيل الله وعذب المؤمنين ليرجعوا عن دينهم"(١).

وقال البغوي في تفسيره للآية الكريمة:" إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا، عَذَّبُوا وَأَحْرَقُوا، الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ، يُقَالُ: فَتَنْتَ الشَّيْءَ إِذَا أَحْرَقْتَهُ.."(٢).

وفي قوله تعالىٰ أيضًا: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ﴾استعمل الفعل الماضي(أتاك) بمعناه الحقيقي أيضًا؛ أي لقد جاءك يا محمد خبر هؤلاء الجنود، والاستفهام هنا بمعنىٰ التقرير، قال البغوي في تفسيره للآية الكريمة:" قَدْ أَتَاكَ خَبَرُ الْجُمُوعِ الْكَافِرَةِ الَّذِينَ تَجَنَّدُوا عَلَىٰ الأنبياء، ثُمَّ بَيَّنَ مَنْ هُمْ؟ فَقَالَ: فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا، مِنْ قَوْمِكَ يَا مُحَمَّدُ، فِي تَكْذِيبٍ، لك وللقرآن كدأب مِنْ قَبْلِهِمْ، وَلَمْ يَعْتَبِرُوا بِمَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ مِنَ الْكُفَّارِ"(٣).

وقال أبو حيان أيضًا:" هَلْ أَتاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ: تَقْرِيرٌ لِحَالِ الْكَفَرَةِ، أَيْ قَدْ أَتَاكَ حَدِيثُهُمْ، وَمَا جَرَىٰ لَهُمْ مَعَ أَنْبِيَائِهِمْ، وَمَا حَلَّ بِهِمْ مِنَ الْعُقُوبَاتِ بِسَبَبِ تَكْذِيبِهِمْ، فَكَذَلِكَ يَحِلُّ بِقُرَيْشٍ مِنَ الْعَذَابِ مِثْلُ مَا حَلَّ بِهِمْ"(٤).

مما تقدم يتضح لنا أن الغرض النفسي من وراء استعمال جميع هذه الأفعال الماضية هو تسلية النبي-ص- وأصحابه بسرد قصص من تقدموا قبلهم من الأمم السابقة؛ فقد كان الضالون من كل أمة يؤذون أهل الحق والدعاة إليه، حرصًا علىٰ ما

(١) تفسير أبي السعود: ٩/ ١٣٧، والوسيط: ١٠/ ١٨٥٧.

(٢) تفسير البغوي: ٥/ ٢٣٦.

(٣) تفسير البغوي: ٥/ ٢٣٧.

(٤)البحر المحيط في التفسير: ١٠/ ٤٦٦.

ألفوا من الباطل، وتشيعًا لما وجدوا عليه أنفسهم وآباءهم الأقربين، علىٰ غير بصيرة، ولا استشارة للعقل السليم، ولا يزال هذا شأنهم إلىٰ يوم الدين.

فأصحاب الأخدود قد عرضوا المؤمنين علىٰ النار وأحرقوهم بها، وكفار قريش قد فتنوا المؤمنين بالكثير من الإيذاء، فعذبوا آل ياسر بفنون من العذاب، وعذبوا بلالا بما لا يحصىٰ من ضروب الأذىٰ، وفعلوا مثل هذا بكثير من أكابر المؤمنين، حتىٰ لقد آذوا الرسول الأكرم وألحقوا به كثيرًا من العنت والأذىٰ، فرموه بالحجارة حتىٰ أدموه؛ بل فعلوا معه أكثر من هذا فخرجوا بخيلهم ورجلهم يقاتلونه وأصحابه، ويتمنون لو يتمكنون منه ليقتلوه، ولكن الله منعهم(١) .

لقد أهلك الله فرعون وجنده، ونجا موسىٰ ومن آمن معه وقصّة ثمود مع صالح معروفة، فقد عقرت ثمود الناقة التي جعلها الله لهم آية، وقد أهلكهم الله عن بكرة أبيهم، ونجّىٰ صالحًا ومن معه من المؤمنين، فالله ﷻ يريد من نبيه أن يجعل أمر هؤلاء الكفرة المعاندين للإسلام وراء ظهره ولا يهتم بهم، فقد انتقم الله من أولئك الأقوياء الشداد، فكيف بهؤلاء(٢).

وخلاصة ما تقدم أنّ الكفّار العصاة العتاة في كلّ عصر متشابهون، وأنّ حالهم مع أنبيائهم لا تتغيّر ولا تتبدّل، فهم في عنادهم سواء، ولكنّ العاقبة دائمًا للمتّقين، وبطش الله شديد بالطغاة المتمردين الظالمين، فهذه الآيات جاءت تسلية للرسول -ﷺ- وتطيبًا لقلبه بالإشعار بأَنه سيصيب كفار قومه ما أَصاب هؤلاء الأَقوام والجماعات الذين تجندوا علىٰ أَنبياءِ الله واجتمعوا علىٰ أَذاهم.

---

(١) تفسير المراغي: ٣٠/ ١٠٣.

(٢) الموسوعة القرآنية، خصائص السور: ١١/ ١٧٠.

ثانيًا: دلالة الأفعال المضارعة:

الفعل المضارع علاوة علىٰ دلالاته المشهورة بين النحاة فإن له دلالات يستقيها من السياق العام للسورة، والمشهور بين علماء اللغة أن دلالات الفعل المضارع ثلاث " الدلالة علىٰ الحال أو علىٰ الاستقبال أو علىٰ المضي"(١)، والسياق وحده هو من يحدد للدلالة الزمنية للأفعال، وفيما يلي توضيح هذه الدلالات في السورة الكريمة:

١- **الدلالة على المضي**، وذلك في قوله تعالىٰ في السورة الكريمة ﴿ **وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧** ﴾

اشتملت الآية الكريمة علىٰ الفعل المضارع(يفعلون) الذي يحمل دلالة الماضي، وذلك أن ما فعله هؤلاء المجرمين بالمؤمنين قد وقع في الزمن الماضي ولكن عبر بالمضارع لنتبيّن هيئة الفعل باستحضار صورته ليكون السامع كأنه حاضر وشاهد، يقول العلامة سيد قطب:" وَهُمْ عَلىٰ ما يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ» .. وهو تعبير يصور موقفهم ومشهدهم، وهم يوقدون النار، ويلقون بالمؤمنين والمؤمنات فيها وهم قعود علىٰ النار، قريبون من عملية التعذيب البشعة، يشاهدون أطوار التعذيب، وفعل النار في الأجسام في لذة وسعار، كأنما يثبتون في حسهم هذا المشهد البشع الشنيع!"(٢).

فالحديث في الآية الكريمة عن الأقوام السابقة فكان الأولىٰ في التعبير استعمال الفعل الماضي(فعلوا) ولكنه عبر بالمضارع استحضارًا لتلك الحال الشنيعة

---

(١)الحدود في علم النحو، أحمد بن محمد بن محمد البجائي الأُبَّذيُّ، شهاب الدين الأندلسي (المتوفىٰ: ٨٦٠ هـ)، ص٣، تحقيق: نجاة حسن عبد الله نولي، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد ١١٢ - السنة ٣٣ - ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠١م.

(٢) في ظلال القرآن: ٦/ ٣٨٧٣.

لأصحاب الأخدود، والفعل المضارع أبلغ هنا من التعبير بالفعل الماضي لأن المضارع كما يقول علماء المعاني

إذا وضع موضع الماضي فيه بعث للماضي وتصوير له في صورة ما يحدث الآن، وكأن الأبصار تراه(١).

فالغرض من التعبير بالمضارع هنا هو: توجيه الأنظار إلىٰ هذه القصة العجيبة، وكأنها تقع أمامنا ساعة التكلم بكل ما يلابسها من غرائب، فتجعل السامع يعيش في جو يشابه الجو الحقيقي الذي ولدت فيه أول أمرها، دون الاكتفاء بالسماع المجرد، فينتقل بخياله إلىٰ العصر الحقيقي الذي وجدت فيه، فتستحضر الأذهان حال هؤلاء الأقوام وما كانوا عليه، وينتقل السامع بخياله إلىٰ مشهد تعذيب هؤلاء المؤمنين علىٰ يد هؤلاء الكفرة عونة الملك المأمورون بإلقاء من لم يرجع عن دين الغلام في تلك الأخاديد التي أعدوها فالموقف هنا موقف تعجب ودهشة؛ لأن قتل أولياء الله أمر فظيع، فأراد استحضاره في النفوس، وتصويره في القلوب، ولا شك أن استعمال المضارع – بدلالته علىٰ التجدد والاستمرار يجعل السامع يستحضر المشهد، ويتفاعل معه أكثر من استعمال الماضي؛ لأن المضارع أوقع في النفس من الماضي، ويشد ويجذب انتباه السامع أو المتلقي ويتيح له توظيف حاستي السمع والبصر مما يتولد عنه التفاعل الوجداني، والانسجام الروحي، فيعيش القصة بتفاصيلها، ويتفاعل معها، قال ابن الأثير:" اعلم أن الفعل المستقبل إذا أتي به في حالة الإخبار عن وجود الفعل، كان ذلك أبلغ من الإخبار بالفعل الماضي وذاك؛ لأن الفعل المستقبل يوضح

(١) النحو الوافي: ٤/ ٣٤١، والزمن النحوي في اللغة العربية، كمال رشيد،ص٧٣، عالم الثقافة، طبعة١٤٢٨ ه – ٢٠٠٨ م.

الحال التي يقع فيها، ويستحضر تلك الصورة، حتىٰ كأن السامع يشاهدها، وليس كذلك الفعل الماضي، وربما أدخل في هذا الموضع ما ليس منه جعلًا بمكانه"[١].

فقد آثر التعبير القرآني هنا استعمال الفعل المضارع(يفعلون) دون استعمال الماضي لأن الفعل المضارع يفيد دلالة التجدد والحدوث الاستمراري؛ أي أن فعل هؤلاء كان متجددًا شيئًا فشيئًا وحالا بعد حال، وآنا بعد آن بحيث كلما انتهوا من جماعة ألقوا الأخرىٰ دون توان أو ملل، بالإضافة إلىٰ قدرة الفعل المضارع علىٰ استحضار تلك الصورة الشنيعة في ذهن السامع حتىٰ كأنها تحدث أمامه حالا علىٰ النحو الذي وضحته سابقًا.

٢- **الدلالة على الاستقبال**، وذلك في قوله تعالىٰ ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾﴾.

اشتملت الآية الكريمة علىٰ الفعل المضارع(يُؤْمِنُوا) الذي يحمل دلالة الاستقبال لأن التعذيب إنما كان واقعًا علىٰ الإيمان في المستقبل ولو كفروا فيه لم يعذبوا علىٰ ما مضىٰ، فيكون المعنىٰ المراد: إلّا أن يدوموا علىٰ إيمانهم ويستمروا عليه[٢].

وقد أكد علىٰ دلالة الفعل المضارع هنا علىٰ الاستقبال الكثير من المفسرين، قال أبو الفداء:"

إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ: قال بلفظ المضارع مع أن الإيمان وجد منهم في الماضي لإرادة الاستمرار والدوام عليه فإنهم ما عذبوهم لإيمانهم في الماضي بل لدوامهم عليه في الآتي ولو كفروا في المستقبل لم يعذبوا علىٰ ما مضىٰ فكانه قيل إلا

(١) المثل السائر، ابن الأثير: ١/ ١٤٥.

(٢) تفسير الرازي: ٣١/ ١١٢، و أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ٨/ ٤٨٦.

أن يستمروا علىٰ إيمانهم"[١]، وقال بعض المفسرين أيضًا:" وفىٰ التعبير عن إيمان المؤمنين بفعل المستقبل: «إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا»، بدلًا من الفعل الماضي، الذي يقتضيه المقام، والذي بسبب وقوعه كانت نقمة الناقمين عليهم في هذا إشارة إلىٰ أن هذا الإيمان الذي في قلوب هؤلاء المؤمنين، هو إيمان ثابت في قلوبهم، مصاحب لهم، لا يتحولون عنه، ولا يجليه عن قلوبهم وعد أو وعيد"[٢].

فالغرض من استعمال التعبير القرآني للفعل المضارع (يؤمنوا) وإيثاره علىٰ الفعل الماضي(آمنوا) هو بيان مدىٰ قوة إيمان هؤلاء المؤمنين المعذبين ومدىٰ إصرارهم علىٰ التمسك بإيمانهم بالله تعالىٰ؛ لأن الكفرة المعتدين خيروهم بين الرجوع عن دينهم وبين إلقائهم في النار، فهم لم يعذبوهم علىٰ إيمانهم السابق، وإنما وقع عليهم التنكيل والعذاب لمداومتهم وإصرارهم علىٰ الاستمرار علىٰ هذا الإيمان، فوقوع العذاب عليهم ليس للإيمان الماضي وإنما لديمومته متمكنًا فيهم مركوزًا في صدورهم .

وقد دل الفعل المضارع علىٰ الاستقبال كذلك في قوله تعالىٰ في ذات السورة الكريمة:" ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾

فقد استعمل الفعل المضارع هنا (لَمْ يَتُوبُوا) للدلالة علىٰ معنىٰ الاستقبال؛ أي أنهم لو تابوا قبل موتهم غفر الله لهم كل ما مضىٰ من ذنوبهم، قال الرازي في تفسير معنىٰ

---

(١) روح البيان: ١٠/ ٣٨٩.

(٢)التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفىٰ: بعد ١٣٩٠ هـ)، ١٦/ ١٥١٤، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة، دون طبعة.

الآية الكريمة:" ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُمْ لَوْ تَابُوا لَخَرَجُوا عَنْ هَذَا الْوَعِيدِ وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَىٰ الْقَطْعِ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ"(١)، وقال ابن عاشور:" ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا الْمُقْتَضِي أَنَّهُمْ إِنْ تَابُوا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ فَيَتَشَوَّفُ السَّامِعُ إِلَىٰ مَعْرِفَةِ حَالِهِمْ أَمَقْصُورَةٌ عَلَىٰ السَّلَامَةِ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ أَوْ هِيَ فَوْقَ ذَلِكَ، فَأُخْبِرَ بِأَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ فَإِنَّ التَّوْبَةَ الْإِيمَانُ"(٢)، وقال المراغي:" أي إن الذين امتحنوا المؤمنين والمؤمنات بالتعذيب، ليردوهم عن دينهم، وثبتوا علىٰ كفرهم وعنادهم ولم يتوبوا حتىٰ أخذهم الموت- أعدّ الله لهم عذابًا في جهنم بالحريق"(٣).

فالفعل (يتوبوا) يحمل دلالة الاستقبال لأن المقصد فتح باب التوبة لهم والرجوع عن أفعالهم الشنيعة تجاه المؤمنين والكلام هنا لكفار قريش لأن أصحاب الأخدود قد ماتوا علىٰ كفرهم ولم يتوبوا، ويؤكد هذا قول أبي حيان:" ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا يُقَوِّي أَنَّ الْآيَاتِ فِي قُرَيْشٍ، لِأَنَّ هَذَا اللَّفْظَ فِي قُرَيْشٍ أَحْكَمُ مِنْهُ فِي أُولَئِكَ الَّذِينَ قَدْ عَلِمُوا أَنَّهُمْ مَاتُوا عَلَىٰ كُفْرِهِمْ. وَأَمَّا قُرَيْشٌ فَكَانَ فِيهِمْ وَقْتَ نُزُولِ الْآيَةِ مَنْ تَابَ وَآمَنَ، انْتَهَىٰ"(٤)، وقول الثعالبي أيضًا:" ومَنْ قَال: إنَّ هذه الآياتِ الأواخِرَ في قريشٍ جَعلَ الفِتنةَ الامتحانَ والتعذيبَ، ويقوِّي هذا التأويلَ بعضَ التقويةِ قولُه تعالىٰ: ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا، لأنَّ هذا اللفظُ في قريشٍ أَشْبَهُ منه في أولئك"(٥).

(١) تفسير الرازي: ٣١/ ١١٣.
(٢) التحرير والتنوير: ٣٠/ ٢٤٧.
(٣) تفسير المراغي: ٣٠/ ١٠٣.
(٤) البحر المحيط في التفسير: ١٠/ ٤٤٥.
(٥) تفسير الثعالبي: ٥/ ٥٧٢.

وقد ذكر ابن عاشور أن (لم) « تقلب زمن الفعل المضارع إلىٰ الماضي ، فتفيد انتفاء مادة الفعل في الزمن الماضي ، وتفيد تجدد ذلك المنفي الذي هو من خصائص الفعل المضارع ، فيحصل معنيان: انتفاء الفعل بمادته وتجدد الانتفاء بصيغته »[١] .

وإذا كان المقصود من الآية الكريمة أصحاب الأخدود كما ذكر بعض المفسرين، فيكون معنىٰ الفعل (يتوبوا) أنهم لم يتوبوا واستمروا علىٰ كفرهم حتىٰ وفاتهم فجاء النفي للتوبة نفيًا مطلقًا؛ أي أن التوبة لم تتحقق منهم في أي فترة من الزمن، فيكون الفعل المضارع هنا بمعنىٰ الفعل الماضي لأن لم علىٰ قول أكثر النحاة تقلب زمن الفعل المضارع من الحال أو الاستقبال إلىٰ الزمن الماضي [٢].

كما دل الفعل المضارع علىٰ الاستقبال أيضًا في قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾

فالفعلان المضارعان(يبدئ، ويعيد) دلا في الآية الكريمة علىٰ معنىٰ الاستقبال أيضًا، قال الرازي في تفسير معنىٰ الآية الكريمة:" إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ أَيْ إِنَّهُ يَخْلُقُ خَلْقَهُ ثُمَّ يُفْنِيهِمْ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ أَحْيَاءً لِيُجَازِيَهُمْ فِي الْقِيَامَةِ، فَذَلِكَ الْإِمْهَالُ لِهَذَا السَّبَبِ لَا لِأَجْلِ الْإِهْمَالِ"[٣]، وقال السمرقندي:" إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ يعني: يبدأ الخلق في الدنيا، ويعيد في الآخرة من التراب"[٤]، وقال ابن عطية:" معناه: يُبْدِئُ الخلق بالإنشاء وَيُعِيدُ بالحشر"[٥].

---

(١) التحرير والتنوير: ١٤/ ٣١٦.

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها: ص٢٤١.

(٣) تفسير الرازي: ٣١/ ١١٤.

(٤) بحر العلوم:٣/ ٥٦٧.

(٥) المحرر الوجيز: ٥/ ٤٦٢.

فالفعلان كما ترىٰ يحملان دلالة التجدد والاستمرار فالبدء والإعادة وإن اتجه معناهما الكلي إلىٰ النشأة الأولىٰ والنشأة الآخرة إلا أنهما حدثان دائبان في كل لحظة من ليل أو نهار، ففي كل لحظة بدء وإنشاء، وفي كل لحظة إعادة لما بلي ومات، والكون كله في تجدد مستمر، وفي بلي مستمر، فهو ﷻ يحيىٰ ويميت، ويميت ويحيىٰ، وفي هذا دليل علىٰ القدرة الفعّالة الدائمة القائمة علىٰ تدبير هذا الوجود، وتبدّل صوره حالا بعد حال، كما يشير إلىٰ ذلك قوله تعالىٰ: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ [(١)]، فالفعلان المضارعان يدلان علىٰ تجدد ذلك منه ﷻ في كل وقت وحين، وحذف- سبحانه- المفعول فيه لقصد العموم؛ ليشمل كل ما من شأنه أن يبدأ وأن يعاد من الخلق أو من العذاب أو من غيرهما[(٢)].

ويلاحظ هنا أن التعبير القرآني قد آثر البناء للمجهول لأن البناء للمجهول فيه تركيز الاهتمام علىٰ الحدث بصرف النظر عن محدثه ومن قام به، كما أن البناء للمجهول فيه تحفيز للذهن للبحث عن الفاعل، فهذه الأحداث العظيمة وهي بدء الخلق ثم الفناء ثم الإعادة من الموت مرة أخرىٰ تحتاج إلىٰ فاعل عظيم يمتلك القدرة علىٰ هذه المهمة العظيمة، وحيث إن الكفار ينكرون البعث ولا يدينون بالتوحيد فقد أتت هذه الأفعال بهذه الصيغة لتحفز كل ذي عقل للبحث عن الفاعل والإيمان به وهذا هو المقصد الأهم من هذه السورة الكريمة.

كما أن الفعلان يحملان دلالة الوعيد والتهديد الشديدين للمشركين فإذا كان ﷻ قادرًا علىٰ البدء والإعادة فهو قادر علىٰ شدة البطش بهم؛ لأنهم تحت قبضته،

(١) سورة الرحمن: من الآية(٢٩).

(٢) ينظر: في ظلال القرآن: ٦/ ٣٨٧٥، والتفسير الوسيط للطنطاوي: ١٥/ ٣٤٧.

وخاضعون لسلطانه، فإذا لم يعاقبهم في هذه الحياة علىٰ جرمهم وأفعالهم الشنيعة مع أوليائه فلا يظنوا أن ذلك إهمال منه أو تقصير في شأنهم؛ بل أخر ذلك ليوم يرجعون إليه، وهو اليوم الذي سيكون فيه البطش والانتقام منهم[١]، ولا شك أن ذلك من شأنه أن يثير الرعب والخوف والفزع في قلوبهم.

(١) ينظر: تفسير المراغي: ٣٠/ ١٠٥.

المطلب الثاني: دلالة أبنية المصادر وصيغ المبالغة

أولا: دلالة أبنية المصادر:

المصدر: اسم يقع علىٰ الأحداث، مثل: الضرب، القتل، القيام، وهو أصل الأفعال سمي مصدرًا لصدور الفعل عنه، ودلالة المصدر علىٰ الحدث آكد من دلالة الفعل، حيث لا صلة له بزمان ولا ذات ولا علمية، ولا تذكير أو تأنيث أو جمع أو غيره(١)، ومن المصادر الواردة في سورة البروج مصدر الفعل الثلاثي المزيد بالتضعيف (فَعَّل) في قول الله ﷻ ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾﴾.

اشتملت الآية الكريمة علىٰ المصدر(تكذيب) الذي جاء علىٰ زنة(تَفْعِيل) وهو مصدر قياسيّ للفعل الثلاثي المزيد بالتضعيف(فَعَّل)(كَذَّب)، وجاء تضعيف العين فيه للدلالة علىٰ قوة الفعل والمبالغة فيه، قال ابن جني:" ومن ذلك أنهم جعلوا تكرير العين في المثال دليلًا علىٰ تكرير الفعل، فقالوا: كسَّر وقطَّع وفتَّح وغلَّق، وذلك أنهم لما جعلوا الألفاظ دليلة المعاني فأقوىٰ اللفظ ينبغي أن يقابل به قوة الفعل، والعين أقوىٰ من الفاء واللام... فلمَّا كانت الأفعال دليلة المعاني كرروا أقواها وجعلوه دليلًا علىٰ قوة المعنىٰ المحدث به، وهو تكرير الفعل"(٢)، وجاء المصدر علىٰ هذه الصيغة المضعفة ليوحي بالحالة التي كان عليها الكفار من المبالغة في تكذيب الرسل والمؤمنين، وكأن الكذب هنا قد وصل إلىٰ منتهاه، وقد جاء المصدر بصيغة التنكير لتهويل وتعظيم فعلهم وفي ذلك إيحاء ببشاعة فعلهم وبيان مدىٰ عنادهم وإصرارهم علىٰ الباطل.

---

(١) أوضح المسالك إلىٰ ألفية ابن مالك، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (المتوفىٰ: ٧٦١ هـ)، ٣/ ١٧٠، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

(٢) الخصائص: ٢/ ١٥٧.

قال الزمخشري في بيان معنىٰ الآية الكريمة:" بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا من قومك فِي تَكْذِيبٍ أي: تكذيب واستيجاب للعذاب، والله عالم بأحوالهم وقادر عليهم وهم لا يعجزونه "(١)، وقال أبو الفداء:" بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا من قومك فِي تَكْذِيبٍ: إضراب عن مماثلتهم لهم وبيان لكونهم أشد منهم في الكفر والطغيان وتنكير تكذيب للتعظيم كأنه قيل ليسوا مثلهم في ذلك بل هم أشد منهم في استحقاق العذاب واستيجاب العقاب فإنهم مستمرون في تكذيب شديد للقرآن الناطق بذلك فهم لا يكذبون بوقوع الحادثة بل يكذبون بكونه قرآنا من عند الله مع وضوح أمره وظهور حاله بالبينات الباهرة .. وفيه إشارة إلىٰ تكذيب المنكرين لأهل الحق ووقوفهم مع حالهم واحتجابهم عن حال من فوقهم "(٢).

ويلاحظ أن التعبير القرآني قد عدل هنا عن صيغة المضارع (يكذبون) كما ورد في سورة الانشقاق ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾﴾ (٣) إلىٰ صيغة المصدر(تكذيب) لأن المصدر كما ذكرنا سابقًا آكد من دلالة الفعل؛ ولأن الفعل يدل علىٰ التجدد والاستمرار، أما صيغة المصدر هنا فقد أفادت استقرار واستمرار ذلك التكذيب منهم وإحاطته بهم من كل جانب وتمكنه من نفوسهم كتمكن الظرف بالمظروف، فصيغة المصدر جاءت لتدل علىٰ أنهم مستمرون علىٰ التكذيب منغمسون فيه انغماس المظروف في الظرف حتىٰ إنه لم يترك لعقولهم مسلكًا لتذكر ما حلَّ بأمثالهم من الأمم

(١) الكشاف: ٤/ ٧٣٣.

(٢) روح البيان: ١٠/ ٣٩٥.

(٣) سورة الانشقاق: الآية (٢٢).

السابقة عليهم[١] وهذا يدل علىٰ كونهم أشد كفرًا وتجبرًا وطغيانًا من هؤلاء الأمم، ومن ثم جاء المصدر هنا متماشيًا مع سياق الآية الكريمة.

وقد أشار كثير من المفسرين إلىٰ دلالة هذا المصدر، يقول بعضهم:" أَي: بل الذين كفروا من قومك في تكذيب، وهذا إِضراب انتقالي عن مماثلة كفار قريش لمن سبقهم من الأُمم المكذبة، وبيان لكونهم أَشد منهم في الكفر والطغيان كما ينبئُ عنه العدول عن (يكذبون) إِلىٰ قوله تعالىٰ: (بَلْ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ) المفيد لإِحاطة التكذيب بهم في كل جانب، مع ما في تنكير (تكذيب) من الدلالة علىٰ تعظيمه وتهويله، فكأَنه قيل: ليس قومك مثلهم، بل هم أَشد منهم فإِنهم غرقىٰ مغمورون في تكذيب عظيم للقرآن الكريم، فهم أَدنىٰ منهم في استحقاق العذاب"[٢].

وقال الشنقيطي أيضًا:" بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ: أيْ: مُسْتَمِرٍّ فِي كُلِّ الْأُمَمِ، وَتَقَدَّمَ فِي سُورَةِ «الِانْشِقَاقِ» قَبْلَهَا: بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ... إِنَّ الْمُغَايِرَةَ لِمُرَاعَاةِ رُءُوسِ الْآيِ وَالْفَوَاصِلِ، وَلَكِنَّ الظَّاهِرَ مِنَ السِّيَاقِ فِي الْمَوْضِعَيْنِ مُرَاعَاةُ السِّيَاقِ لَا فَوَاصِلُ الْآيِ؛ لِأَنَّ فِي سُورَةِ «الِانْشِقَاقِ» الْحَدِيثَ مَعَ الْمُشْرِكِينَ.. وَفِي سُورَةِ «الْبُرُوجِ» هُنَا ذَكَرَ الْأُمَمَ مِنْ فِرْعَوْنَ، وَثَمُودَ، وَأَصْحَابِ الْأُخْدُودِ، وَالْمُشْرِكِينَ فِي مَكَّةَ، ثُمَّ قَالَ: بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ فَنَاسِبَ هَذَا هُنَا، وَنَاسَبَ ذَاكَ هُنَاكَ"[٣]، وقال السعدي أيضًا:" ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ﴾ أي: لا يزالون مستمرين علىٰ التكذيب والعناد، لا تنفع فيهم الآيات، ولا تجدي لديهم العظات"[٤].

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٣٠/ ٥٢.

(٢) التفسير الوسيط (مجمع اللغة العربية): ١٠/ ١٨٦١.

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ٨/ ٤٨٩.

(٤) تفسير السعدي: ص٩١٨.

واستعمال المصدر (تكذيب) هنا من قبيل المجاز المرسل وليس علىٰ وجه الحقيقة؛ وذلك لأن التكذيب معنىً من المعاني ولا يحلّ الإنسان فيه وإنما يحلّ في مكانه فاستعمال التكذيب في مكانه مجاز أطلق فيه الحال وأريد المحل فعلاقته الحالية فهم لشدة تكذيبهم وإصرارهم عليه أحاط بهم إحاطة تامة محكمة.

ويتضح مما تقدم أن الدلالة النفسية التي يوحي بها هذا المصدر هي تسلية النبي-ص- حتىٰ لا يصيبه اليأس والجزع من تكذيب قومه؛ "فالكفار في كل عصر غارقون في شهوة التكذيب حتىٰ لم يدع ذلك لعقلهم مجالًا للنظر، ولا متسعًا للتدبر"[(١)].

ثانيًا: دلالة صيغ المبالغة:

وهي تأتي للدلالة علىٰ الشيء المتكرر فعله أو الشيء الملازم لصاحبه حتىٰ صار حرفة، فلازمه في الوصف والدلالة علىٰ لزوم الوصف وتكراره[(٢)].

وقد تُحوَّل صيغة فاعل للدلالة علىٰ الكثرة والمبالغة في الحَدَث، إلىٰ أوزان خمسة مشهورة، تُسَمَّىٰ صِيغ المبالغة، وهي: فَعَّال: بتشديد العين، كأَكَّال وشرَّاب. ومِفعال: كمِنحار. وفَعُول: كغَفُور. وفَعِيل: كسميع. وفَعِل: بفتح الفاء وكسر العين كحذِرٌ.

وقد سُمِعت ألفاظ للمبالغة غير تلك الخمسة، منها فِعِّيل: بكسر الفاء وتشديد العين مكسورة كسِكِّير، ومِفعيل: بكسر فسكون كمِعْطير، وفُعَلة: بضم ففتح، كهُمَزَة، ولُمَزة. وفاعُول: كفاروق، وفُعال: بضم الفاء وتخفيف العين أو تشديدها، كطُوّال وكُبّار، بالتشديد أو التخفيف[(٣)].

---

(١) تفسير المراغي: ٣٠/ ١٠٧.

(٢) التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة ص ٨٥.

(٣) شذا العرف في فن الصرف، أحمد بن محمد الحملاوي (المتوفىٰ: ١٣٥١ هـ)، تحقيق: نصر الله عبد الرحمن نصر الله، الناشر: مكتبة الرشد الرياض.

وقد وردت صيغ المبالغة بكثرة في سورة البروج، ومنها قوله تعالىٰ: ﴿ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧﴾

فنجد أن (الوقود، قعود، شهود) جمعيها علىٰ وزن (فعول) صيغة مبالغة تدل علىٰ معنىٰ الفاعل مع تأكيد المعنىٰ وتقويته والمبالغة فيه، فمعنىٰ (وقود) أي النار العظيمة المتأججة، ذات الحطب الكثير واللهب الشديد، التي أضرمها الكفار في تلك الأخاديد لإحراق المؤمنين(١)، ومجيء (وقود) علىٰ صيغة المبالغة (فعول) للإيحاء بشدة لهيب هذه النار التي ألقي فيها المؤمنون وكثرة الحطب الذي أشعلت به تلك النار وذلك ينبئ بقوة حرارتها وباستمرار وقودها فهي نار شديدة حامية بحيث لا يخمد لهيبها لكثرة ما ألقي فيها، وفي ذلك تهويل لصورة العذاب الذي تعرض له المؤمنين وتعظيم لهذا الجرم الشنيع الذي قام به هؤلاء الكفار الطغاة؛ فصيغة (فعول) هنا أفادت الدلالة علىٰ المبالغة في شدة العذاب الذي تعرض له المؤمنين مما يوحي بمدىٰ قوة إيمانهم وتمسكهم بدينهم.

ثم وصف لنا الله ﷻ مدىٰ قسوة قلوب هؤلاء الكفرة فعبر كذلك بكلمة (قعود)وهي علىٰ زنة(فعول) من صيغ المبالغة أيضًا للدلالة علىٰ أن قعود هؤلاء حول النار يشاهدون إلقاء المؤمنين فيها كان قعودًا طويلا مما ينبئ كذلك عن فظاعتهم وقساوة قلوبهم فهم غلاظ الطبع تنعدم الإنسانية لديهم فقد قعدوا حول النار يشاهدون إحراق المؤمنين وتعذيبهم دون أن يتحرك لهم ساكن.

---

(١) صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، ٣/ ٥١٥، الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة

الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧ م.

كما آثر التعبير القرآني التعبير كذلك بصيغة المبالغة (شهود) للدلالة علىٰ كثرة هؤلاء الشهود الذي شاهدوا تعذيب المؤمنين واستمرارهم في هذه المشاهدة وقتا طويلا وكأنهم ليس لهم شغل غيرها وهذا أمر في غاية الشدة والقسوة وهو يدل علىٰ فظاعة حال أصحاب الأخدود.

وقد أشار المفسرون إلىٰ الدلالة النفسية المستوحاة من صيغ المبالغة التي اشتملت عليها هذه الآيات الكريمات، قال أبو السعود:" ذات الوقود: وهذا وصف لها بغاية العظم، وارتفاع اللهب، وكثرة ما فيها من الحطب، والقصدُ وصف النار بالشدة والهول وكثرةِ ما يوجبُهُ منَ الحطبِ وأبدانِ الناس" (١) ، وقال غيره:" قال أبو السعود: ذات الوقود: وهذا وصف لها بغاية العظم(٢)... ثم بالغ تعالىٰ في وصف المجرمين فقال ﴿ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ ﴾ أي حين هم جلوس حول النار، يتشفون بإحراق المؤمنين فيها، ويشهدون ذلك الفعل الشنيع والغرضُ: تخويف كفار قريش، فقد كانوا يعذبون من أسلم من قومهم، ليرجعوا عن الإسلام، فذكر الله تعالىٰ قصة "أصحاب الأخدود" وعيدًا للكفار، وتسليةً للمؤمنين المعذبين"(٣).

يتضح مما تقدم أن الدلالة النفسية التي تكمن من وراء استعمال التعبير القرآني لهذه الصيغ

---

(١) تفسير أبي السعود: ٩/ ١٣٦.

(٢) السابق نفسه.

(٣) صفوة التفاسير: ٣/ ٥١٥.

هي بيان مدىٰ قسوة قلوب هؤلاء ومدىٰ تمكن الكفر من نفوسهم وبشاعة فعلهم بالمؤمنين فقد أعدوا لهم نارًا عظيمة ذا حطب كثير حتىٰ يكون حريقها عظيمًا، ولهيبها متطايرًا، وقد قعدوا حولها يشرفون عليهم وهم يعذبون بها، ويحرقون فيها وهذا يدل علىٰ قسوة قلوبهم، كما يدل علىٰ قوة اصطبار المؤمنين وشدة جلدهم، ورباطة جأشهم، واستمساكهم بدينهم.

- ومما جاء علىٰ صيغة (فعول) أيضًا للدلالة علىٰ المبالغة قول الله تعالىٰ ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾ فالغفور والودود صفتان جاءتا علىٰ صيغة المبالغة لتدلا علىٰ أن الله- ﷻ- كثير الغفر والود فهو يود أوليائه المؤمنين ويستر ذنوبهم، ويغفرها لهم، كما أنه يغفر كذلك لأهل المعاصي والذنوب ويحب التوابين منهم.

وقد ذهب بعض المفسرين إلىٰ القول بأن (الودود) فعول بمعنىٰ المفعول؛ فيكون المراد من الودود هنا المودود؛ أي: المحب إلىٰ عباده بإسباغ النعم عليهم ودوام العافية قال القشيري:" «الْغَفُورُ» كثير المغفرة، «الْوَدُودُ» مبالغة من الوادّ، ويكون بمعنىٰ المودود فهو يغفر لهم كثيرا لأنه يودّهم، ويغفر لهم كثيرا لأنهم يودّونه"(١).

وقال الرازي:" قَالَ بَعْضُ أَهْلِ اللُّغَةِ يَجُوزُ أن يكون ودود فعولا بِمَعْنَىٰ مَفْعُولٍ كَرَكُوبٍ وَحَلُوبٍ، وَمَعْنَاهُ أَنَّ عِبَادَهُ الصَّالِحِينَ يَوَدُّونَهُ وَيُحِبُّونَهُ لِمَا عَرَفُوا مِنْ كَمَالِهِ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ"(٢)، وقال البغوي:" وَهُوَ الْغَفُورُ: لِذُنُوبِ الْمُؤْمِنِينَ، الْوَدُودُ،

(١) لطائف الإشارات = تفسير القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥ هـ)، ٣/ ٧١٢، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، الطبعة: الثالثة.

(٢) تفسير الرازي: ٣١/ ١١٤.

الْمُحِبُّ لَهُمْ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ الْمَوْدُودُ، كَالْحَلُوبِ وَالرَّكُوبِ، بِمَعْنَىٰ الْمَحْلُوبِ وَالْمَرْكُوبِ. وَقِيلَ: يَغْفِرُ وَيَوَدُّ أَنْ يَغْفِرَ، وَقِيلَ: الْمُتَوَدِّدُ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِ بِالْمَغْفِرَةِ "(١).

وقد ذهب بعض المفسرين كذلك إلىٰ القول بأن (الودود) هنا فعولا بمعنىٰ الفاعل للدلالة علىٰ كثرة المودة والمحبة؛ أي: المُحِبُّ الذي يحب الخير لجميع خلقه ، قال الزجاج:" (وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ):أي المحب أولياءه"(٢)، وقال الواحدي:" ﴿وهو الغفور الودود﴾ المُحِبُّ أولياءه"(٣)، وقال ابن عاشور:" والْوَدُودُ: فَعُولٌ بِمَعْنَىٰ فَاعِلٍ مُشْتَقٌّ مِنَ الْوُدِّ وَهُوَ الْمَحَبَّةُ فَمَعْنَىٰ الْوَدُودِ: الْمُحِبُّ وَهُوَ مِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَىٰ، أَيْ أَنَّهُ يُحِبُّ مَخْلُوقَاتِهِ مَا لَمْ يَحِيدُوا عَنْ وِصَايَتِهِ"(٤).

مما تقدم يتضح أن الودود هنا إما بمعنىٰ مفعول فيكون المراد المحب لعباده المؤمنين، وإما بمعنىٰ فاعل؛ أي الذي يحبه المؤمنون وقد رجح هذا المعنىٰ أكثر المفسرين، يدلنا علىٰ ذلك قول الرازي:" الْوَدُودُ وَفِيهِ أَقْوَالٌ: أَحَدُهَا: الْمُحِبُّ هَذَا قَوْلُ أَكْثَرِ الْمُفَسِّرِينَ، وَهُوَ مُطَابِقٌ لِلدَّلَائِلِ الْعَقْلِيَّةِ، فَإِنَّ الْخَيْرَ مُقْتَضًىٰ بِالذَّاتِ وَالشَّرَّ

---

(١) تفسير البغوي: ٥/ ٢٣٧.

(٢) معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفىٰ: ٣١١ هـ)، ٥/ ٣٠٨،
تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولىٰ ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨ م.

(٣)الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي (المتوفىٰ: ٤٦٨ هـ)، ص١١٩٠، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار النشر: دار القلم ، الدار الشامية – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٥هـ.

(٤) التحرير والتنوير: ٣٠/ ٢٤٩.

بِالْعَرَضِ، وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ الشَّرُّ أَقَلَّ مِنَ الْخَيْرِ فَالْغَالِبُ لَا بُدَّ وَأَنْ يَكُونَ خَيْرًا فَيَكُونَ مَحْبُوبًا بِالذَّاتِ.."(١)، وقول أبي الفداء:" فالودود فعول بمعنىٰ الفاعل هاهنا"(٢).

وأرجح أن يكون فعولا هنا بمعنىٰ الفاعل لأن المقام يقتضيه ولذا قرنت الآية الكريمة (الودود) بـ (الغفور) مما يوحي بقوة محبة الخالق للمخلوق فأهل الذنوب إذا تابوا إلىٰ الله وأنابوا غفر لهم ذنوبهم وأحبهم، فبتوبتهم يغفر لهم ويحبهم؛ لأن الود هو المحبة الخالصة قال الجوهري:" والوَدودُ: المحبُّ"(٣)، وقال السعدي:" وهو تعالىٰ الودود، الواد لأحبابه، كما قال تعالىٰ: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ والمودة هي: المحبة الصافية"(٤)، فمحبته ﷻ تشمل جميع خلقه وتقوم علىٰ أساس الاحتواء لهم، والحماية من كل سوء وسقوط علىٰ امتداد الأزمان، ويبالغ في الدلالة علىٰ ذلك تكرار الأصوات فيها، فالتكرار يفيد المبالغة في حدوث الفعل.

والدلالة النفسية المستوحاة من مجيء هذه الصفات علىٰ صيغة المبالغة (فعول) هي الترغيب في التوبة و الحث علىٰ الإسراع إليها مهما كانت الذنوب فرحمته ﷻ قد فاقت الحدود والقيود وهي الباب المفتوح الذي لا يغلق في وجه عائد تائب ولو عظم الذنب وكبرت المعصية، فهو ﷻ لن يغلق باب التوبة في وجوه عباده فغفرانه تعالىٰ مكرر رحمة بهم ولطفا بضعفهم.

(١) تفسير الرازي: ٣١/ ١١٤.

(٢) روح البيان: ١٠/ ٣٩٣.

(٣) الصحاح: ٢/ ٥٤٩.

(٤) تفسير السعدي: ص٩١٨.

- ومما جاء علىٰ صيغ المبالغة في السورة الكريمة الكلمات (لَشَدِيدٌ، ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ، ٱلْمَجِيدُ، شَهِيدٌ) فجميع هذه الكلمات جاءت علىٰ صيغة المبالغة (فعيل) للدلالة علىٰ أن من اتصف بهذه الصفات حري بأن يعبد لأجل صفاته التي تقتضي عبادته لأنه ينصر مواليه ويثيبهم وما عداه ضعيف لا يضر ولا ينفع، ففي قوله تعالىٰ ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ جاءت صيغة المبالغة (شديد) لتدل علىٰ شدة بطش الله ﷻ وقوة انتقامه من الطغاة العصاة فهذه اللفظة توحي بكمال قدرة الله تعالىٰ فبطشه وأخذه للكافرين مضاعف فهو سبحانه عالم بما فعلوه وسيجازيهم عنه أشد العذاب، قال البيضاوي:" إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ مضاعف عنفه فإن البطش أخذ بعنف"(١)، وقال أبو الفداء:" والبطش تناول الشيء بصولة والأخذ بعنف يقال يد باطشة وحيث وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم وهو بطشه بالجبابرة والظلمة وأخذه إياهم بالعذاب والانتقام وان كان بعد إمهال فإنه عن حكمة لا عن عجز"(٢).

فمجيء كلمة (شديد) علىٰ هذه الصيغة من صيغ المبالغة فيه إيحاء بأن انتقامه جلا في علاه من الجبابرة والظلمة، وأخذه إياهم بالعقوبة لهو الغاية في الشدة، والنهاية في الأذىٰ والألم، وفي هذا إرهاب لقريش ومن معها، وتعزية لرسوله -ﷺ- ولمن معه.

ولقد أشار ابن عاشور إلىٰ الدلالة النفسية المستوحاة من اقتران البطش بالشدة في الآية الكريمة حيث قال:" ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ اعْتِرَاضًا بِالْبِشَارَةِ فِي خِلَالِ الْإِنْذَارِ لِتَرْغِيبِ الْمُنْذَرِينَ فِي الْإِيمَانِ، وَلِتَثْبِيتِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا يُلَاقُونَهُ مِنْ

(١) تفسير البيضاوي: ٥/ ٣٠١.

(٢) روح البيان: ١٠/ ٣٩٢.

أَذَىٰ الْمُشْرِكِينَ عَلَىٰ عَادَةِ الْقُرْآنِ فِي إِرْدَافِ الْإِرْهَابِ بِالتَّرْغِيبِ"[(١)]، فالغرض النفسي هنا هو تخويف الكفار والمشركين وإرهابهم وإثارة الرعب في نفوسهم حتىٰ يرجعوا عن محاربتهم للمؤمنين، وتسلية النبي-ص- والمؤمنين عما يكابدوه من كفار قومهم وإشاعة الطمأنينة في نفوسهم بأن أمر هؤلاء الكفار مغلول وأن مكرهم سيزول وبأن الله تعالىٰ سينتقم منهم أشد انتقام.

وفي قوله تعالىٰ ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾﴾

جاءت كلمتي (العزيز الحميد) علىٰ زنة (فعيل) أيضًا من صيغ المبالغة لتدلا علىٰ أن الله تعالىٰ قادر علىٰ نصرة المؤمنين بالانتقام لهم من أعدائهم، فهو سبحانه مالك القوة القاهر المسيطر الذي يخشىٰ عقابه، وهو في الوقت ذاته المحمود المشكور المنعم الذي يرجىٰ ثوابه، "وإنما وصف ذاته بهذه الصفات ليعلم أنه لم يمهل الكفار لأجل أنه غير قادر لكنه أراد أن يبلغ بهؤلاء المؤمنين مبلغًا من الثواب لم يكونوا يبلغونه إلا بمثل ذلك الصبر، وأن يعاقب أولئك الكافرين عقابًا لم يكونوا يستوجبونه إلا بمثل ذلك الفعل وكان قد جرىٰ بذلك قضاؤه علىٰ الفريقين جميعًا في سابق تدبيره وعلمه وفيه تشنيع علىٰ الكفار بغاية جهلهم، وبيان بكمال قدرة الله ﷻ"[(٢)].

قال الشنقيطي في تفسيره لمعنىٰ (العزيز الحميد) في الآية الكريمة:" وَالْإِتْيَانُ هُنَا بِصِفَتَيِ اللهِ تَعَالَىٰ: «الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ» إِشْعَارٌ بِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ قَادِرٌ عَلَىٰ نُصْرَةِ الْمُؤْمِنِينَ

(١) التحرير والتنوير: ٣٠/ ٢٤٧.

(٢) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، ٣١/ ٢٩٦، تحقيق: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، الناشر: دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١ م.

وَالِانْتِقَامِ مِنَ الْكَافِرِينَ، إِذِ الْعَزِيزُ هُوَ الْغَالِبُ، كَمَا يَقُولُونَ: مَنْ عَزَّ بَزَّ، وَلَكِنْ جَاءَ وَصْفُهُ بِالْحَمِيدِ؛ لِيُشْعِرَ بِأَمْرَيْنِ:

الْأَوَّلُ: أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ آمَنُوا رَغْبَةً وَرَهْبَةً، رَغْبَةً فِي الْحَمِيدِ عَلَىٰ مَا يَأْتِي: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾، وَرَهْبَةً مِنَ الْعَزِيزِ كَمَا سَيَأْتِي فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾، وَهَذَا كَمَالُ الْإِيمَانِ رَغْبَةً وَرَهْبَةً وَأَحْسَنُ حَالَاتِ الْمُؤْمِنِ.

وَالْأَمْرُ الثَّانِي: حَتَّىٰ لَا يَيْأَسَ أُولَئِكَ الْكُفَّارُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ، كَمَا قَالَ: ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا؛ إِذْ أَعْطَاهُمُ الْمُهْلَةَ مِنْ آثَارِ صِفَتِهِ الْحَمِيدِ سُبْحَانَهُ"[1]، وقال ابن عاشور:" وَإِجْرَاءُ الصِّفَاتِ الثَّلَاثِ عَلَىٰ اسْمِ الْجَلَالَةِ وَهِيَ: الْعَزِيزِ. الْحَمِيدِ. الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ لِزِيَادَةِ تَقْرِيرِ أَنَّ مَا نَقَمُوهُ مِنْهُمْ لَيْسَ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُنْقَمَ بَلْ هُوَ حَقِيقٌ بِأَنْ يُمْدَحُوا بِهِ لِأَنَّهُمْ آمَنُوا بِرَبٍّ حَقِيقٍ بِأَنْ يُؤْمَنَ بِهِ لِأَجْلِ صِفَاتِهِ الَّتِي تَقْتَضِي عِبَادَتَهُ وَنَبْذَ مَا عَدَاهُ لِأَنَّهُ يَنْصُرُ مَوَالِيَهُ وَيُثِيبُهُمْ وَلِأَنَّهُ يَمْلِكُهُمْ، وَمَا عَدَاهُ ضَعِيفُ الْعِزَّةِ لَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ وَلَا يَمْلِكُ مِنْهُمْ شَيْئًا فَيَقْوَىٰ التَّعْجِيبُ مِنْهُمْ بِهَذَا"[2]، ومن ثم يتضح أن صيغتا المبالغة هنا أفادت أن انتقام الله من الكافرين سيكون كبيرًا مما يوحي بعظم ما اقترفوه في حق المؤمنين الموحدين، كما يوحي كذلك بقوة إيمان الموحدين وشدة تمسكهم بدينهم.

وفي قوله تعالىٰ ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ﴾ ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾

جاءت كلمة (شهيد) علىٰ صيغة المبالغة (فعيل) للدلالة كذلك علىٰ الوعيد الشديد لهؤلاء الذين عذبوا المؤمنين من كفار قريش وغيرهم من كل مَنْ تصدوا

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ٨/ ٤٨٦.

(٢) التحرير والتنوير: ٣٠/ ٢٤٤.

لأذىٰ المؤمنين فَهُوَ سُبْحَانَهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ، وَمِنْ ذَلِكَ فِعْلُ أُولَئِكَ، وَفِيهِ شِدَّةُ تَخْوِيفِ أُولَئِكَ وَتَحْذِيرُهُمْ وَمَنْ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِمْ، بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ شَهِيدٌ عَلَىٰ أَفْعَالِهِمْ فَلَنْ تَخْفَىٰ عَلَيْهِ خَافِيَةٌ[١].

فصيغة المبالغة هنا (شهيد) تحمل في طياتها دلالة التخويف والترهيب والوعيد الشديد لكل من شارك في تعذيب المؤمنين فالله ﷻ شاهد علىٰ ما فعلوه بهم في كل مكان وزمان وسيجازيهم عليه أشد الجزاء، قال الشنقيطي:" وَقَدْ جَاءَ بِصِيغَةِ الْمُبَالَغَةِ فِي شَهِيدٍ ; لِمَا يَتَنَاسَبُ مَعَ هَذَا الْمَقَامِ، كَمَا فِيهِ الْمُقَابَلَةُ بِالْفِعْلِ، كَمَا كَانُوا قُعُودًا عَلَىٰ النَّارِ وَشُهُودًا عَلَىٰ إِحْرَاقِ أَوْلِيَاءِ اللهِ تَعَالَىٰ، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ سَيُعَامِلُهُمْ بِالْمِثْلِ، إِذْ يَحْرِقُهُمْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ شَهِيدٌ"[٢]، وقال ابن عاشور:" وَجُمْلَةُ: وَاللهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ تَذْيِيلٌ بِوَعِيدٍ لِلَّذِينَ اتَّخَذُوا الْأُخْدُودَ وَبِوَعْدِ الَّذِينَ عُذِّبُوا فِي جَنْبِ اللهِ، وَوَعِيدٌ لِأَمْثَالِ أُولَئِكَ مِنْ كُفَّارِ قُرَيْشٍ وَغَيْرِهِمْ مِنْ كُلِّ مَنْ تَصَدَّوْا لِأَذَىٰ الْمُؤْمِنِينَ وَوَعْدُ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ عَذَّبَهُمُ الْمُشْرِكُونَ مِثْلَ بِلَالٍ وَعَمَّارٍ وصهيب وسميّة"[٣]؛ فصيغة المبالغة هنا أفادت الدلالة علىٰ كمال شهادة الله وتمامها، فالله أتم شهادة بحيث لا تخفىٰ عليه خافية في الأرض ولا في السماء، فهو ﷻ لعلمه بجميع الأشياء التي منها أعمال هذين الفريقين الأمر الذي يقتضي توفير جزاء كل منهما حتمًا، فتكون الجنة جزاء للمؤمنين، وتكون جهنم جزاء للكافرين.

(١)أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ٨/ ٤٨٦.

(٢)أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ٨/ ٤٨٦.

(٣) التحرير والتنوير: ٣٠/ ٢٤٤.

وفي قوله تعالىٰ ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ جاءت كلمة فعال علىٰ صيغة المبالغة(فعَّال) للدلالة علىٰ كمال إرادته ﷻ فهو -جل في علاه- يختار ما يشاء ويفعل ما يريده ويختاره، دائمًا أبدًا، فتلك صفته ﷻ التي اتصف بها دون غيره، فله الهيمنة المطلقة والقدرة الكاملة والإرادة المطلقة كذلك، فصيغة المبالغة هنا تفيد كثرة وقوع هذا الفعل منه ﷻ كما تفيد تحقق هذه الصفة فيه دائمًا، قال أبو الفداء:" إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِما يُرِيدُ: وانما قال فعال مبالغة فاعل لأن ما يريد ويفعل في غاية الكثرة من الإحياء والإماتة والإعزاز والإذلال والإغناء والإقتار والشفاء والأمراض والتقريب والتبعيد والعمارة والتخريب والوصل والفرق والكشف والحجاب إلىٰ غير ذلك من شؤونه "(١)، وقال ابن عاشور:" ثُمَّ ذَيَّلَ ذَلِكَ بِصِفَةٍ جَامِعَةٍ لِعَظَمَتِهِ الذَّاتِيَّةِ وَعَظَمَةِ نِعَمِهِ بِقَوْلِهِ: فَعَّالٌ لِما يُرِيدُ أَيْ إِذَا تَعَلَّقَتْ إِرَادَتُهُ بِفِعْلٍ، فَعَلَهُ عَلَىٰ أَكْمَلِ مَا تَعَلَّقَتْ بِهِ إِرَادَتُهُ لَا يَنْقُصُهُ شَيْء وَلَا يبطئ بِهِ مَا أَرَادَ تَعْجِيلَهُ، فَصِيغَةُ الْمُبَالَغَةِ فِي قَوْلِهِ: فَعَّالٌ لِلدَّلَالَةِ عَلَىٰ الْكَثْرَةِ فِي الْكَمِّيَّةِ وَالْكَيْفِيَّةِ"(٢).

والتعبير القرآني بصيغة المبالغة هنا في الآية الكريمة له وقعه في نفوس السامعين فهو يشعرهم بعظيم قدرة الله ﷻ، فإذا أراد هلاك الجاحدين المعاندين ونصر أهل الحق الصادقين لم يعجزه ذلك، فهو يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، لا معقب لحكمه ولا رادَّ لقضائه.

وقد ذكر بعض العلماء أن صفات الله تعالىٰ التي علىٰ صيغة المبالغة كلها مجاز لأنها موضوعة للمبالغة ولا مبالغة فيها لأن المبالغة أن يثبت للشيء أكثر مما له

(١) روح البيان: ١٠/ ٣٩٤.

(٢) التحرير والتنوير: ٣٠/ ٢٥٠.

وصفاته تعالىٰ متناهية في الكمال لا يمكن المبالغة فيها، وأيضًا فالمبالغة تكون في صفات تفيد الزيادة والنقصان وصفات الله منزهة عن ذلك(١)، وبهذا تكون دلالة صيغة المبالغة هنا ملازمة هذه الصفة له ﷻ فهو يفعل ما يريد ولا يسأل عما يفعل فله مطلق الإرادة ﷻ، " فإذا أراد أن يدخل أولياءه الجنة لا يمنعه مانع، وإذا أراد أن يدخل أعداءه النار لا ينصرهم ناصر، ويمهل بعض العصاة علىٰ ما يشاء إلىٰ أن يجازيهم ويعاجل بعضهم بالعقوبة إذا شاء فهو يفعل ما يريد"(٢).

(١) روح البيان: ٧/ ٤٤٠.

(٢) روح البيان: ١٠/ ٣٩٤.

المبحث الثالث:

الدلالة التركيبية في سورة البروج في ضوء علم اللغة النفسي

لا شك أن للدلالة التركيبية دورًا كبيرًا في الدلالة علىٰ المعنىٰ وبيانه؛ فالإعراب هو الدال علىٰ المعنىٰ المراد، وقد قال النحاة قديمًا: إن الإعراب فرع المعنىٰ، فالصلة وثيقة جدًا بين الإعراب، وبين المعنىٰ الوظيفي، فيكفي أن تعلم وظيفة الكلمة في السياق، ليظهر أنك أعربتها إعرابًا صحيحًا(١)، وقد اتجه علماء العرب نحو المعنىٰ، فالجملة تشكل شبكة من العلاقات السياقية التي تقوم كل علاقة منها عند وضوحها مقام القرينة المعنوية التي تعتمد في وضوحها علىٰ التآخي بينها وبين القرائن اللفظية في السياق(٢)، وفيما يلي بيان لهذه الدلالات في سورة البروج:

المطلب الأول: دلالة أدوات المعاني

أولا: دلالة حروف العطف:

المتأمل لسورة البروج يجد أنها اشتملت علىٰ الكثير من أدوات العطف (الواو، الفاء، ثم، حتىٰ ، بل.. إلخ) وقد لعبت هذه الأدوات دورًا بارزًا في إظهار المعاني النفسية والمواقف المتصلة بها، يظهر ذلك جليًّا في إيثار التعبير القرآني استعمال (الواو) و(ثم) في الآية الكريمة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾﴾

فجاءت واو العطف في الآية الكريمة لتعطف المؤمنات علىٰ المؤمنين وتشرك بينهما في الحكم وهو من باب عطف الخاص علىٰ العام؛ لأن المؤمنات من جملة المؤمنين، ولكن للعطف هنا بالواو مزية خاصة ففيه التنويه بزيادة تفظيع فعل هؤلاء

---

(١) مناهج البحث في اللغة، لتمام حسان، ص١٩٣، الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية.

(٢) التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة: ص٩٠.

المجرمين بأنهم قد اعتدوا حتىٰ علىٰ النساء بالرغم من ضعفهن فلم يتورعوا عن تعذيبهن كذلك وهذا يومئ بعظيم فعلتهم وشدة قسوة قلوبهم، فقد كانوا يرمون الرضع الصغار كذلك في النار حتىٰ تضعف أمهاتهم أمامهم فترجع عن دينها، قال الطبري:" " فَجَاءتِ امْرأَةٌ مَعَها صَبِيٌّ لَهَا ، فَلَمَّا ذَهَبَتْ تَقْتَحِمُ وَجَدَتْ حَرَّ النَّارِ، فَنَكَصَتْ "، " فَقَالَ لَهَا صَبِيُّهَا يا أُمَّاهُ امْضِي فَإِنَّكِ عَلَىٰ الْحَقِّ، فَاقْتَحَمَتْ فِي النَّارِ"(١).

وقد أشار ابن عاشور إلىٰ الغرض النفسي من استعمال الواو في الربط والجمع بين المؤمنين والمؤمنات في الحكم حيث قال:" وَعَطْفُ الْمُؤْمِناتِ لِلتَّنْوِيهِ بِشَأْنِهِنَّ لِئَلَّا يُظَنَّ أَنَّ هَذِهِ الْمَزِيَّةَ خَاصَّةٌ بِالرِّجَالِ، وَلِزِيَادَةِ تَفْظِيعِ فِعْلِ الْفَاتِنِينَ بِأَنَّهُمُ اعْتَدَوْا عَلَىٰ النِّسَاءِ وَالشَّأْنُ أَنْ لَا يُتَعَرَّضَ لَهُنَّ بِالْغِلْظَةِ"(٢).

كما استعملت الآية الكريمة أداة العطف (ثم) التي تفيد الترتيب والتراخي (ثم لم يتوبوا)، ومعنىٰ الترتيب أي إنها تفيد الترتيب بين ما قبلها وما بعدها ومعنىٰ التراخي هو: انقضاء مدة زمنية طويلة بين وقوع المعنىٰ علىٰ المعطوف عليه ووقوعه علىٰ المعطوف، وقد جاءت (ثم) هنا في الآية الكريمة علىٰ معناها من إفادة الترتيب والتراخي فقد أفادت بأن استحقاقهم للعذاب مترتب علىٰ عدم توبتهم فلا يقع عليهم العذاب إلا إذا اجتمع معه عدم التوبة، فهذا العقاب التي ذكرته لنا الآية الكريمة (فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ) ليس مترتبًا علىٰ فتنة المؤمنين والمؤمنات فقط، وإنما هو مترتب علىٰ فتنتهم مع عدم التوبة من هذا الذنب الشنيع.

---

(١) تفسير الطبري: ٢٤/ ٣٤٠.

(٢) التحرير والتنوير: ٣٠/ ٢٤٦.

أما الدلالة النفسية المستوحاة من استعمال التعبير القرآني لهذه الأداة دون غيرها من أدوات العطف هي إشعار العباد بكمال حلم الله ﷻ وشدة كرمه حيث لا يعجل بالعقوبة وهو القادر علىٰ ذلك وإنما يمهل عباده حتىٰ يتوبوا وأنهم مهما فعلوا من ذنوب فإنه جلا في علاه يغفرها لهم إذا رجعوا إليه وتابوا مهما تراخت توبتهم وفي ذلك حث علىٰ التوبة وترغيب فيها، قال ابن عاشور:" وَجُمْلَةُ: ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا مُعْتَرِضَةٌ، وثُمَّ فِيهَا لِلتَّرَاخِي الرُّتْبِيِّ لِأَنَّ الِاسْتِمْرَارَ عَلَىٰ الْكُفْرِ أَعْظَمُ مِنْ فِتْنَةِ الْمُؤْمِنِينَ، وَفِيهِ تَعْرِيضٌ لِلْمُشْرِكِينَ بِأَنَّهُمْ إِنْ تَابُوا وَآمَنُوا سَلِمُوا مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ"(١)، وقال الشنقيطي:" وَلَكِنْ فِي الْآيَةِ قَرِينَةٌ عَلَىٰ أَنَّ الضَّمَائِرَ رَاجِعَةٌ إِلَىٰ الْكُفَّارِ الَّذِينَ قَتَلُوا الْمُؤْمِنِينَ وَأَحْرَقُوهُمْ، وَهِيَ قَوْلُهُ: ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ حَيْثُ رَتَّبَ الْعَذَابَ الْمَذْكُورَ عَلَىٰ عَدَمِ التَّوْبَةِ، وَجَاءَ بِثُمَّ الَّتِي هِيَ لِلتَّرَاخِي، مِمَّا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُمْ لَمْ تَحْرِقْهُمْ نَارُهُمُ انْتِقَامًا مِنْهُمْ حَالًا، بَلْ أُمْهِلُوا لِيَتُوبُوا مِنْ فِعْلَتِهِمُ الشَّنِيعَةِ، وَإِلَّا فَلَهُمُ الْعَذَابُ الْمَذْكُورُ فِي الْآخِرَةِ"(٢)، وقال بعض المفسرين:" وإنما استعمل ثم لأن التوبة مقبولة مهما يتراخ بها الزمن ويمتد"(٣)، وقال آخرون:" ومفهوم الآية أنهم لو تابوا لخرجوا من هذا الوعيد، وإنما عبر سبحانه بأداة التراخي لأن التوبة مقبولة قبل الغرغرة ولو طال الزمان"(٤).

---

(١) التحرير والتنوير: ٣٠/ ٢٤٦.

(٢)أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ٨/ ٤٨٥.

(٣)إعراب القرآن وبيانه، لمحيي الدين بن أحمد مصطفىٰ درويش (المتوفىٰ : ١٤٠٣ هـ)، ١٠/ ٤٣٥، الناشر: دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية ، الطبعة : الرابعة ، ١٤١٥هـ.

(٤) فتحُ البيان في مقاصد القرآن: ١٥/ ١٦٧.

كما استعمل التعبير القرآني كذلك (الفاء) وهي من أدوات العطف أيضًا، قال تعالىٰ (فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ) وقد أفادت الفاء ربط ما بعدها وهو استحقاق العذاب بسبب سابق وهو فتنة المؤمنين مع الإصرار علىٰ ذلك وعدم التوبة من هذا الفعل الشنيع؛ فالفاء هنا أفادت السببية والارتباط بين المقدمة ونتيجتها، ولا يخفىٰ ما في الفاء هنا من الدلالة علىٰ السببية حيث إن الخبر مسبب عن المبتدأ ومرتب عليه؛ لأنهم لو تابوا بعد أن فتنوا أولياء الله وعذبوهم بالنار لغفر لهم ولم يعذبهم وفي هذا دعوة للعصاة ألا ييأسوا من روح الله وعفوه وألا يقنطوا من رحمته ومغفرته مهما كانت خطاياهم وفي هذا دلالة علىٰ أن ﷻ في غاية الكرم والجود والرحمة.

كما استعمل التعبير القرآني كذلك (الواو) العاطفة للربط بين عذاب جهنم وعذاب الحريق، فقال جل في علاه(وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ) وهذا يدل علىٰ أن الذين عذبوا المؤمنين والمؤمنات لهم عذبان: عذاب جهنم بسبب تعذيبهم للمؤمنين، وعذاب الحريق وهو نار أخرىٰ زائدة علىٰ عذاب جهنم كما توحي بذلك صيغة المبالغة (حريق) فهي علىٰ زنة فعيل للدلة علىٰ شدة إحراق هذه النار، فالعصاة الطغاة يستحقون هذين العذابين لعدم توبتهم بما صدر منهم في حق المؤمنين الموحدين.

وقد جعل بعض المفسرين العطف بالواو هنا بمثابة التأكيد اللفظي لجملة (عذاب جهنم)، قال ابن عاشور:" وَجُمْلَةُ: وَلَهُمْ عَذابُ الْحَرِيقِ عَطْفٌ فِي مَعْنَىٰ التوكيد اللَّفْظِيّ لجملة: لَهُمْ عَذابُ جَهَنَّمَ وَاقْتِرَانُهَا بِوَاوِ الْعَطْفِ لِلْمُبَالَغَةِ فِي التَّأْكِيدِ بِإِيهَامِ أَنَّ مَنْ يُرِيدُ زِيَادَةَ تَهْدِيدِهِمْ بِوَعِيدٍ آخَرَ فَلَا يُوجَدُ أَعْظَمُ مِنَ الْوَعِيدِ الْأَوَّلِ"(١)، وقال العلامة سيد قطب:" «فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ » .. وينص علىٰ «الْحَرِيقِ» ..

(١) التحرير والتنوير: ٣٠/ ٢٤٦.

وهو مفهوم من عذاب جهنم. ولكنه ينطق به وينص عليه ليكون مقابلا للحريق في الأخدود. وبنفس اللفظ الذي يدل علىٰ الحدث. ولكن أين حريق من حريق؟ في شدته أو في مدته! وحريق الدنيا بنار يوقدها الخلق. وحريق الآخرة بنار يوقدها الخالق! وحريق الدنيا لحظات وتنتهي، وحريق الآخرة آباد لا يعلمها إلا الله! ومع حريق الدنيا رضىٰ الله عن المؤمنين وانتصار لذلك المعنىٰ الإنساني الكريم. ومع حريق الآخرة غضب الله، والارتكاس الهابط الذميم!"[1] .

ويمكن القول بأن للعطف بالواو هنا مزية خاصة إذ يفيد اختصاص هؤلاء الكفرة المتمردين بهذين النوعين معًا من العذاب دون غيرهم لعظم جرمهم، وفظاعة ذنبهم، وبشاعة خطيئتهم مع عدم توبتهم ولا شك أن هذا من شأنه إثارة الرعب والهلع في نفوس الكافرين حيث بينت الآية ما سيئول إليه حالهم يوم القيامة لعلهم يرجعوا عن فعلتهم الشنيعة ويسرعوا إلىٰ التوبة.

وفي قوله تعالىٰ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ ١١﴾ استعمل التعبير القرآني حرف الواو للربط بين العمل الصالح وبين الإيمان فعطف جملة (عملوا الصالحات) علىٰ جملة (الذين آمنوا) بالواو العاطفة ليدل علىٰ أن استحقاق المؤمنين لتلك الجنات مرتب علىٰ الإيمان المقرون بالعمل الصالح وليس لمجرد الاعتقاد القلبي فقط، وقد استعمل التعبير القرآني (عملوا) دون (فعلوا) لأن الغالب في العمل أن ينسب إلىٰ العقلاء، ويستعمل لما يمتد زمانه، وذلك

(١) في ظلال القرآن: ٦/ ٣٨٧٤.

بخلاف الفعل فإنه ينسب إلىٰ العقلاء وغير العقلاء والجمادات، ويستعمل لما يكون دفعة واحدة(١).

قال أبو السعود في تفسيره للآية الكريمة" إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات: علىٰ الإطلاقِ منَ المفتونينَ وغيرِهم لَهُمْ بسببِ ما ذكر من الإيمان والعملِ الصالحِ"(٢)، وقال أبو الفداء أيضًا:" إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ علىٰ الإطلاق من المفتونين وغيرهم لَهُمْ بسبب ما ذكر من الإيمان والعمل الصالح الذي من جملته الصبر علىٰ أذىٰ الكفار وإحراقهم"(٣)، وقال ابن عاشور:" إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ: فَأُخْبِرَ بِأَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ فَإِنَّ التَّوْبَةَ الْإِيمَانُ، فَلِذَلِكَ جِيءَ بِصِلَةِ آمَنُوا دُونَ: تَابُوا: لِيَدُلَّ عَلَىٰ أَنَّ الْإِيمَانَ وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ هُوَ التَّوْبَةُ مِنَ الشِّرْكِ الْبَاعِثِ عَلَىٰ فَتْنِ الْمُؤْمِنِينَ"(٤).

ولا شك أن الدلالة النفسية المستوحاة من هذا العطف إنما هي الحث علىٰ العمل الصالح والترغيب فيه والإسراع إليه لأن نتيجة ذلك كما أخبرتنا الآية الكريمة إنما هي جنات تجري من تحتها الأنهار، فكل من جمع بين الإيمان والعمل الصالح سيكون له هذا الجزاء العظيم والنعيم المقيم؛ "ليكون ذلك أنكىٰ للأعداء، وأشد في غيظهم، وأبعث للأسىٰ والحزن في نفوسهم"(٥).

(١) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني: ١/ ١٢٢.

(٢) تفسير أبي السعود: ٩/ ١٣٨.

(٣) روح البيان: ١٠/ ٣٩١.

(٤) التحرير والتنوير: ٣٠/ ٢٤٧.

(٥) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن: ٣١/ ٢٩٨.

وفي قوله تعالىٰ ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾ اشتملت الآيتين الكريمتين علىٰ حرف العطف(الواو) الذي ربط في الآية الأولىٰ بين الفعلين المضارعين (يبدئ، يعيد)، وقد ربط الآية الثانية بالآية الأولىٰ أيضًا.

والفعلان المضارعان في الآية الأولىٰ يحملان دلالتين متقابلتين تكمل إحداهما الأخرىٰ، فهو ﷻ يبدئ الخلق بالإيجاد والإنشاء في الدنيا، ويعيده بالبعث والحشر في الآخرة، قال ابن عاشور:" ويُبْدِئُ: مُرَادِفُ يَبْدَأُ، يُقَالُ: بَدَأَ وَأَبْدَأُ. فَلَيْسَتْ هَمْزَةُ أَبْدَأُ لِلتَّعْدِيَةِ.

وَحُذِفَ مَفْعُولَا الْفِعْلَيْنِ لِقَصْدِ عُمُومِ تَعَلُّقِ الْفِعْلَيْنِ بِكُلِّ مَا يَقَعُ ابْتِدَاءً، وَيُعَادُ بَعْدَ ذَلِك فَشَمَلَ بَدَأَ الْخَلْقِ وَإِعَادَتَهُ وَهُوَ الْبَعْثُ"(١)، وقال الشنقيطي:" : إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ: قِيلَ: يُبْدِئُ الْخَلْقَ وَيُعِيدُهُ، كَالزَّرْعِ وَالنَّبَاتِ وَالْإِنْسَانِ، بِالْمَوْلِدِ وَالْمَوْتِ، ثُمَّ بِالْبَعْثِ. وَقِيلَ: يَبْدَأُ الْكُفَّارَ بِالْعَذَابِ وَيُعِيدُهُ عَلَيْهِمْ"(٢)، وقال غيرهما أيضًا:" (إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ) .. وجملة يبدئ خبر إنه ويعيد عطف علىٰ يبدئ أي من كان قادرًا علىٰ الإبداء والإيجاد قادر بحكم الطبع والبداهة علىٰ الإعادة"(٣).

وللعطف بالواو هنا مزية خاصة إذ فيه لون من ترابط الأسلوب وتناسق الأفكار، وإظهار المعنىٰ إظهارًا واضحًا قويًّا؛ إذ بين هذين الفعلين تضاد في المعنىٰ له حسنه وبهاؤه؛ لأن الضد يظهر حسنه الضد، فالضد يكون أقرب خطورًا في البال عند ذكر ضده، هذا بالإضافة إلىٰ ما فيه من تثبيت المعنىٰ في النفس، وتأكيده في الذهن، حيث

(١) التحرير والتنوير: ٣٠/ ٢٤٨.

(٢)أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ٨/ ٤٨٧.

(٣)إعراب القرآن وبيانه: ١٠/ ٤٣٥.

إن الذهن عند ذكر الضد الأول يكون مهيَّأ لتلقي الآخر، ومستعدًا له، فإذا ورد عليه بعد هذه التهيئة، وذلك الاستعداد ثبت فيه، وتأكد لديه، يقول الألوسي في هذا الصدد:" إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ أي إنه ﷻ هو يبدأ الخلق بالإنشاء وهو سبحانه يعيده بالحشر يوم القيامة كما قال ابن زيد والضحاك، أو يبدئ كل ما يبدي ويعيد كل ما يعاد كما قال ابن عباس من غير دخل لأحد في شيء منهما، ومن كان كذلك كان بطشه في غاية الشدة... وعن ابن عباس يبدئ العذاب بالكفار ويعيده عليهم فتأكلهم النار حتىٰ يصيروا فحمًا ثم يعيدهم ﷻ خلقًا جديدًا وفيه خفاء وإن كان أمر الجملة عليه في غاية الظهور، واستعمال يبدئ مع يعيد حسن وإن لم يسمع أبدًا"(١).

والدلالة النفسية المستوحاة من وراء عطف هذين الفعلين علىٰ بعضهما البعض بالواو العاطفة هي الوعيد الشديد لهؤلاء المشركين الذين يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ فِي أَمْنٍ مِنَ الْعِقَابِ فهُمْ لا يُصَدِّقُونَ بِالْبَعْثِ وحَسِبُوا أَنَّهُمْ فَازُوا بِطِيبِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فتوعدهم الله ﷻ بالبطش الشديد بهم فِي الْبَدْءِ وَالْعَوْدِ، أَيْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ فيكون ذلك أَوْقَعُ فِي قُلُوبِ الْمُشْرِكِينَ(٢)، فمن كان كذلك كان بطشه شديدًا، وعذابه أليمًا، وجنابه مرهوبًا، فهو سبحانه شديد العقاب لا يأمن أحدًا مكره مهما كانت قوته وجبروته، يقول المراغي في تفسيره لهذه الآية الكريمة:" (إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ) أي إنه يخلق الخلق ابتداء، ثم يعيدهم بعد أن صيّرهم ترابًا، وإذا كان قادرًا علىٰ البدء والإعادة فهو قادر علىٰ شديد البطش بهم، لأنهم تحت قبضته، وخاضعون لسلطانه؛ فكأنه سبحانه يقول: إن مرجعكم إلىٰ ربكم، فإذا لم يعاقبكم في هذه الحياة علىٰ ما تعملون مع

(١) روح المعاني: ١٥/ ٣٠١، ٣٠٢.

(٢) التحرير والتنوير: ٣٠/ ٢٤٨.

أوليائه فلا تظنوا أن ذلك إهمال منه أو تقصير في شأنهم؛ بل أخر ذلك ليوم ترجعون إليه، وهو اليوم الذي سيكون فيه البطش والانتقام منكم"[١].

وقد عطفت جملة ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾ علىٰ الآية السابقة عليها بأداة العطف الواو أيضًا لتدل علىٰ كمال قدرة الله ﷻ، فعلىٰ الرغم من شدة بطشه وعظم عذابه إلا أنه أيضًا غفور رحيم حليم ودود فرحمته وسعت كل شيء، فمن المعهود لدىٰ الطباع الإنسانية والمركوز في النفوس أن القادر علىٰ العنف قد لا يقدر علىٰ اللطف، وإن قدر فربما لم يقدر علىٰ الإبلاغ في ذلك، وكان لا يقدر علىٰ محو الذنوب أعيانها وآثارها علىٰ كل أحد بحيث لا يحصل لصاحبها عقاب ولا عتاب من أحد أصلاً إلا من كان قادرًا علىٰ كل شيء، فسبحان من له القدرة المطلقة يعذب من يشاء ويرحم من يشاء[٢]، فالعطف هنا من باب عطف الجملة علىٰ الجملة وهذا ربط بديع لأوصال النص، وتماسك في المعنىٰ، تظهر فيه روعة البيان القرآني وتفرده.

وفي قوله تعالىٰ ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾﴾ الواو هنا علىٰ بابها من العطف حيث عطفت هذه الآية الكريمة علىٰ الآية التي قبلها ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾﴾.

والمسوغ للعطف بين الآيتين الكريمتين هو دلالة الآيتين علىٰ التمكن والإحاطة، إذ أفاد قوله تعالىٰ ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾﴾ تمكن الكذب من الكفار وإحاطته بهم كتمكن الظرف بالمظروف كما أشرت سابقًا، كما أفاد قوله تعالىٰ ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾﴾ إحاطة عقاب الله تعالىٰ بهم وقوبل جزاء إحاطة التكذيب بالكفار بإحاطة

(١) تفسير المراغي: ٣٠/ ١٠٥.

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفىٰ: ٨٨٥ هـ)، ٢١/ ٣٦٢، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

عذاب الله تعالىٰ وعقابه بهم جزاء وفاقًا، وفي هذا من الوعيد والتهديد والتخويف والترهيب وإشاعة الخوف في النفوس ما لا يخفىٰ، قال ابن عاشور في تفسيره للآية الكريمة:" وَاللهُ مِنْ وَرائِهِمْ مُحِيطٌ: عَطْفٌ عَلَىٰ جُمْلَةِ: الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ، أَيْ هُمْ مُتَمَكِّنُونَ مِنَ التَّكْذِيبِ وَاللهُ يُسَلِّطُ عَلَيْهِمْ عِقَابًا لَا يُفْلِتُونَ مِنْهُ. فَقَوْلُهُ: وَاللهُ مِنْ وَرائِهِمْ مُحِيطٌ: تَمْثِيلٌ لِحَالِ انْتِظَارِ الْعَذَابِ إِيَّاهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ عَنْهُ بِحَالِ مَنْ أَحَاطَ بِهِ الْعَدُوُّ مِنْ وَرَائِهِ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ حَتَّىٰ إِذَا رَامَ الْفِرَارَ وَالْإِفْلَاتَ وَجَدَ الْعَدُوَّ مُحِيطًا بِهِ"(١).

ثانيًا: دلالة حروف الجر:

حروف الجر وردت في مواضع كثيرة من سورة البروج وقد أفادت هذه الحروف معانيها الحقيقة في مواضع، وفي مواضع أخرىٰ نابت بعض هذه الحروف عن بعض فأدت معنىٰ غيرها علىٰ سبيل المجاز، وفيما يلي بيان ذلك:

ففي قوله تعالىٰ: ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦﴾ اشتملت الآية الكريمة علىٰ حرف الجر (علىٰ) الذي يستعمل غالبًا في معنىٰ الاستعلاء الحقيقي(٢)، ولكنه دل هنا علىٰ الاستعلاء المجازي لأنهم لا يقعدون فوق النار في الحقيقة، ولكن يقعدون حولها لإلقاء المؤمنين فيها، قال أبو الفداء:" وقعود جمع قاعد أي لعنوا حين أحرقوا بالنار قاعدين حولها في مكان مشرف عليها من حافات الأخدود ولفظ (علىٰ) مشعر بذلك تقول مررت عليه تريد مستعليًّا بمكان يقرب منه وفي بعض التفاسير علىٰ سرر وكراسي قعود عند النار ولو قعدوا علىٰ نفس النار لاحترقوا فالقاتلون كانوا جالسين

---

(١)التحرير والتنوير: ٣٠/ ٢٥٢.

(٢) ينظر: الكافية في علم النحو، لابن الحاجب جمال الدين بن عثمان بن عمر بن أبي بكر المصري الإسنوي المالكي (ت: ٦٤٦ هـ)، ص٥٢، تحقيق: الدكتور صالح عبد العظيم الشاعر، الناشر: مكتبة الآداب – القاهرة، الطبعة: الأولىٰ، ٢٠١٠ م.

في مكان مشرف أو نحوه ويعرضون المؤمنين علىٰ النار قمن كان يترك دينه تركوه ومن كان يصر ألقوه في النار وأحرقوه"[١]، وقال ابن عاشور أيضًا:" ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦﴾ وَضَمِيرُ هُمْ عَائِدٌ إِلَىٰ أَصْحَابِ الْأُخْدُودِ فَإِنَّ الْمَلِكَ يَحْضُرُ تَنْفِيذَ أَمْرِهِ وَمَعَهُ مَلَأُهُ، أَو أُرِيد بهم الْمَأْمُورُونَ مِنَ الْمَلِكِ، فَعَلَىٰ احْتِمَالِ أَنَّهُمْ أَعْوَانُ الْمَلِكِ فَالْقُعُودُ الْجُلُوسُ كُنِّيَ بِهِ عَنِ الْمُلَازَمَةِ لِلْأُخْدُودِ لِئَلَّا يَتَهَاوَنَ الَّذِينَ يَحْشُونَ النَّار بتسعيرها، و(علىٰ) لِلِاسْتِعْلَاءِ الْمَجَازِيِّ لِأَنَّهُمْ لَا يَقْعُدُونَ فَوْقَ النَّارِ وَلَكِنْ حَوْلَهَا"[٢].

وذكر بعض المفسرين أن (علىٰ) هنا علىٰ بابها من الاستعلاء الحقيقي إذا كان المراد من أصحاب الأخدود: الْمُؤْمِنِينَ الْمُعَذَّبِينَ فِيهِ؛ فيكون معنىٰ (علىٰ) علىٰ هذا التأويل: أَيْ قَاعِدُونَ عَلَىٰ النَّارِ بِأَنْ كَانُوا يَحْرِقُونَهُمْ مَرْبُوطِينَ بِهَيْئَةِ الْقُعُودِ لِأَنَّ ذَلِكَ أَشَدُّ تَعْذِيبًا وَتَمْثِيلًا، أَيْ بَعْدَ أَنْ يُقْعِدُوهُمْ فِي الْأَخَادِيدِ يُوقِدُونَ النَّارَ فِيهَا وَذَلِكَ أَرْوَعُ وَأَطْوَلُ تَعْذِيبًا[٣].

مما تقدم يمكن القول أن الغرض النفسي من استعمال التعبير القرآني لحرف الجر (علىٰ) الذي أفاد الاستعلاء حقيقة أو مجازًا هو بيان مدىٰ جفاء قلوب هؤلاء الطغاة العتاة المتجبرين إذ قعدوا حول النار يشهدون تعذيب المؤمنين الذين ألقوهم فيها ليتشفوا بتعذيبهم دون أن يتحرك لهم ساكن ولا يرق لهم طبع وهذا الفعل منهم يدل علىٰ نهاية القسوة والظلم، وعلىٰ خلو قلوبهم من أي رحمة أو شفقة، كما يبين لنا أنهم ما قصروا في تعذيبهم للمؤمنين، فقد استولىٰ هؤلاء الجبابرة علىٰ النار حال

(١) روح البيان: ١٠/ ٣٨٩.

(٢) التحرير والتنوير: ٣٠/ ٢٤٣.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ٣٠/ ٢٤٣.

قعودهم علىٰ حافتيها يقذفون فيها من يشاءون، ويخلون سبيل من يشاءون، كما دل حرف الجر علىٰ أنهم ملازمين لها لكي يمدونها بكل ما تحتاجه من وقود لأجل إسعارها، وهذا يدل علىٰ شدة ظلمهم وعتوهم وطغيانهم(١)، يقول بعض المفسرين في هذا الصدد:" .. عبر عن القعود علىٰ حافة النار بالقعود علىٰ نفس النار للدلالة علىٰ أنهم حال قعودهم علىٰ شفيرها مستولون عليها يقذفون فيها من شاءوه ويخلون سبيل من شاءوه"(٢).

وفي قوله تعالىٰ: ﴿ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ ﴾ اشتملت الآية القرآنية الكريمة علىٰ حرف الجر (علىٰ) الذي أفاد معنىٰ (مع) علىٰ رأي أكثر المفسرين، قال الواحدي:" ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ : أي من عرض منهم علىٰ النار، وإرادتهم أن يرجعوا إلىٰ دينهم، ﴿شُهُودٌ﴾: حضور، قاله ابن عباس، ويكون "علىٰ" بمعنىٰ "مع" كأنه قيل: وهم مع مَا يفعلون بالمؤمنين شهود حضروا ذلك التعذيب"(٣)، وقال أبو السعود:" وقيلَ عَلَىٰ بمعنَىٰ معَ والمعْنَىٰ وهُم معَ مَا يفعلونَ بالمؤمنينَ منَ العذابِ حضورٌ لاَ يرقُّونَ لهم لغايةِ قسوةِ قُلُوبِهِمْ هَذَا هُو الذي يستدعيه النظمُ الكريمُ وتنطقُ بِه الرواياتُ المشهورةُ"(٤)، وقال الشيخ العلامة محمد الأمين:"﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧﴾ جمع شاهد؛ أي: إن

---

(١) ينظر: تفسير المراغي: ٣٠/ ١٠١، والتفسير الوسيط للقرآن الكريم، لفضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوي، ١٥/ ٣٤٥، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة: الأولىٰ مارس ١٩٩٨.

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن: ١٥/ ١٦٥.

(٣) تفسير البسيط: ٢٣/ ٣٨٩.

(٤) تفسير أبي السعود: ٩/ ١٣٧.

أولئك الجبابرة الذين أمروا بإحراق المؤمنين كانوا حضورًا عند تعذيبهم، يشاهدون ما يفعله بهم أتباعهم، فـ ﴿عَلَىٰ﴾ بمعنىٰ: مع"[١].

ويرىٰ آخرون أن (علىٰ) هنا بمعنىٰ (عند)؛ فيكون المراد هنا: أي يشهد بعضهم لبعض عند الملك أن أحداً منهم لم يفرط فيما أمر به وفوض إليه من التعذيب[٢].

مما تقدم يمكن القول بأن الغرض النفسي من استعمال التعبير القرآني لحرف الجر هنا هو حث المؤمنين من أهل مكة علىٰ الصبر وتحمل أذىٰ المشركين، فحرف الجر هنا قد أفاد الدلالة علىٰ شدة قسوة قلوب هؤلاء البغاة المعتدين الذين حضروا وشاهدوا بأنفسهم تعذيب المؤمنين الموحدين واحتراق أجسادهم الحية، وما تفعل بها النيران، ولا يرقّون لهم لغاية قسوة قلوبهم، فهذا المشهد يصور لنا مدىٰ قسوة قلوبهم كما يبين لنا مدىٰ صلابة المؤمنين وتمسكهم بدينهم حيث لم يلتفتوا إليهم وبقوا مصرين علىٰ الحق[٣].

وفي قوله تعالىٰ: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾﴾ اشتملت الآية الكريمة علىٰ حرف الجر(في) الذي يفيد الظرفية في الحقيقة[٤]، وقد أفاد الظرفية هنا مجازًا حيث جعل

---

(١) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن: ٣١/ ٢٩٣.

(٢) ينظر: تفسير الرازي: ٣١/ ١١١، وتفسير الزمخشري: ٤/ ٧٣١، وتفسير النسفي: ٣/ ٦٢٤.

(٣) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفىٰ: ٨٥٠ هـ)، ٦/ ٤٧٧، المحقق: الشيخ زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت، ومحاسن التأويل
المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفىٰ: ١٣٣٢ هـ)، ٩/ ٤٤٤، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولىٰ – ١٤١٨هـ.

(٤) ينظر: الكافية في علم النحو: ص٥١.

التكذيب ظرفًا ووعاءً مجازيًّا لكفرهم، قال ابن عاشور في تفسيره لهذه الآية الكريمة:﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكۡذِيبٖ ١٩﴾ إِضْرَابٌ انْتِقَالِيٌّ إِلَىٰ إِعْرَاضِهِمْ عَنِ الِاعْتِبَارِ بِحَالِ الْأُمَمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا الرُّسُلَ وَهُوَ أَنَّهُمْ مُسْتَمِرُّونَ عَلَىٰ التَّكْذِيبِ مُنْغَمِسُونَ فِيهِ انْغِمَاسَ الْمَظْرُوفِ فِي الظَّرْفِ فَجُعِلَ تَمَكُّنُ التَّكْذِيبِ مِنْ نُفُوسِهِمْ كَتَمَكُّنِ الظَّرْفِ بِالْمَظْرُوفِ، وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَىٰ أَنَّ إِحَاطَةَ التَّكْذِيبِ بِهِمْ إِحَاطَةُ الظَّرْفِ بِالْمَظْرُوفِ لَا يَتْرُكُ لِتَذَكُّرِ مَا حَلَّ بِأَمْثَالِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ مَسْلَكًا لِعُقُولِهِمْ"(١).

وقد أشار القاسمي إلىٰ الدلالة النفسية المستوحاة من وراء التعبير بحرف الجر هنا في الآية الكريمة حيث قال:" وفي جعلهم فِي تَكْذِيبٍ إشارة إلىٰ تمكنه من أنفسهم، وأنه لشدته أحاط بهم إحاطة الظرف بمظروفه أو البحر بالغريق فيه، مع ما في تنكيره من الدلالة علىٰ تعظيمه وتهويله"(٢)، فحرف الجر هنا أفاد أن الكافرين شأنهم دائمًا التكذيب، فهم في سلسلة لا تنقطع من التكذيب لكل ما يسمعون من آيات الله، دون أن يصغوا إلىٰ ما يسمعونه، أو يعقلوه.. فالتكذيب بآيات الله وبرسل الله، هو الظرف الذي يحتويهم في كل زمان ومكان، فهو متمكن منهم مستقر في نفوسهم مع وضوح الدلائل الموجبة للإيمان؛ لأنهم قوم معاندون مصرون علىٰ التكذيب؛ إما لأنهم يحسدون الرسول -ﷺ-. علىٰ ما أتاه الله من فضله، وإما لخوفهم من فوت المناصب الدينية والرئاسات التقليدية، وإما لأنهم يأبون أن يخالفوا ما وجدوا عليه آباءهم من عقائد زائفة وأفعال مستهجنة(٣).

(١) التحرير والتنوير: ٣٠/ ٢٥٢.

(٢) تفسير القاسمي: ٩/ ٤٤٧.

(٣) ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن: ٣١/ ٢٧٠.

المطلب الثاني: دلالة الاستفهام

الاستفهام الحقيقي يتطلب إجابة أو معرفة شيء يجهله السائل، ويحتاج إلىٰ إجابة، ومن الأمثلة عليه: كم عمرك؟ مَن ضرب الولد؟ وغيرها، أما في القرآن الكريم فالاستفهام لا يأتي حقيقيًا؛ لأن الله -ﷻ- لا يستفهم عن شيء من عباده وخلقه، فغرض الاستفهام في القرآن يكون بلاغيًّا مجازيًّا يراد به أغراض أخرىٰ تعرف من خلال السياق أو الموقف الذي ورد فيه السؤال، وفائدته البلاغية هي إعطاء الكلام حيوية وزيادة الإقناع والتأثير، وإثارة السامع والقارئ[١]، وقد جاء الاستفهام في سورة البروج في موضع واحد منها هو قوله تعالىٰ ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾﴾.

فالاستفهام في الآية الكريمة جاء للدلالة علىٰ التقرير[٢] كما ذكر بعض المفسرين، قال أبو العباس الفاسي:" ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾﴾.وهو استفهام تشويق مقرر لشدّة بشطه تعالىٰ بالظَلَمة العصاة، والكفرة العتاة"[٣].

---

(١)التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم، دكتور عبد العظيم المطعني،١/ ٤، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثالثة (٢٠١١م).

(٢) التقرير مَعْنَاهُ حمل الْمُخَاطب علىٰ الْإِقْرَار وَالِاعْتِرَاف بِأَمْر قد اسْتَقر عِنْده ثُبُوته أَو نَفْيه. ينظر: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، لعبد القادر بن عمر البغدادي (المتوفىٰ: ١٠٩٣ هـ)، ١٠/ ٢٧٩، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧ م.

(٣)البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تأليف: أبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفىٰ: ١٢٢٤ هـ)،٧/ ٢٧٩، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، الطبعة: ١٤١٩هـ.

وقيل الاستفهام هنا لإرادة التعجب من حال هؤلاء الكفار فِي إِعْرَاضِهِمْ عَنِ الِاتِّعَاظِ بِخبر هؤلاء الجنود(١).

وذكر ابن عاشور ان الاستفهام هنا يحمل دلالة التهويل والتعظيم حيث قال:" وَالِاسْتِفْهَامُ مُسْتَعْمَلٌ فِي إِرَادَةِ لِتَهْوِيلِ حَدِيثِ الْجُنُودِ بِأَنَّهُ يُسْأَلُ عَنْ عِلْمِهِ، وَفِيهِ تَعْرِيضٌ لِلْمُشْرِكِينَ بِأَنَّهُمْ قَدْ يَحِلُّ بِهِمْ مَا حَلَّ بِأُولَئِكَ"(٢).

فيما ذكر بعض المفسرين أن هل في الآية الكريمة بمعنىٰ قد؛ أي قد أتاك حديث الطاغية والأمم الخالية(٣).

وأيما كان الغرض الذي يدل عليه الاستفهام في الآية الكريمة فإنه يحمل في طياته ضربًا من الإثارة والتشويق إلىٰ معرفة المستفهم عنه، وتهيئة المخاطب لتلقيه وتقريره في نفسه، وتثبيته لديها، وترسيخه في وجدانه لأنه جاء بعد تهيئة وتمهيد لمعرفته، والشيء إذا جاء بعد تمهيد له كان أوقع في النفوس وأثبت في العقول.

ومن هنا يمكن القول بأن الغرض النفسي من وراء استعمال الاستفهام هنا هو التشويق إلىٰ معرفة ما يلقىٰ بعده من حديث فتتهيأ النفس لسماعه ويثير الذهن لمعرفته؛ فالاستفهام في الآية الكريمة فيه ترغيب للمخاطب وتشويق له إلىٰ معرفة ما يأتي بعده، فيجعل المخاطب يفكر فيه وينشغل به وينتظره في ترقب وتطلع وتلهف له، وعندئذ يأتي الجواب فيقع في نفس المخاطب موقعًا حسنًا؛ لأنه جاء والنفس مهيأة له ومتلهفة علىٰ معرفته، ولروعة هذا الأسلوب نجده قد احتل مكانة عالية جدًا في

(١) التحرير والتنوير: ٣٠/ ٢٥٠.

(٢) التحرير والتنوير: ٣٠/ ٢٥٠.

(٣) تفسير السمعاني: ٦/ ٢٠٠، والبحر المديد في تفسير القرآن المجيد: ٧/ ٢٧٩.

الإعجاز القرآني فهو يدفع المخاطب إلىٰ التعمق في المعاني وإثارة الانتباه واستنباط الحقائق[١]، وخصت (هل) [٢] بالاستفهام هنا دون غيرها من الأدوات لتحقيق الغرض الذي من أجله سيق الاستفهام في الآية الكريمة وهو: الالتفات التام لسماع ما يلقىٰ بعدها من كلام، فهي أشبه بقرع العصا كما ذكر البلاغيون، فهي صوت لا يقصد لذاته، وإنما لما بعده[٣].

(١)التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم، دكتور عبد العظيم المطعني،١/ ٣.

(٢) هل حرف استفهام يطلب به التصديق دون التصور ولا يدخل علىٰ منفي ولا شرط ولا أن ولا اسم بعده فعل غالبًا. ينظر: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، لعبد المتعال الصعيدي (المتوفىٰ: ١٣٩١ هـ)، الناشر: مكتبة الآداب، ٢/ ٢٥١، الطبعة: السابعة عشر: ١٤٢٦ هـ-٢٠٠٥م.

(٣) التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم: ٤/ ٣٥٤.

المطلب الثالث: دلالة القسم

أسلوب القسم في لغتنا العربية من المؤكدات المشهورة، التي تمكن الشيء في النفس وتقويه، وقد نزل القرآن الكريم للناس كافة، ووقف الناس منه مواقف متباينة، فمنهم الشاك، ومنهم المنكر، ومنهم الخصم الألد، فنزل القرآن الكريم بما جرت عادة العرب في استعمال القسم لإزالة الشكوك، وإحباط الشبهات، وإقامة الحجة، وتوكيد الأخبار نفيًا أو إثباتًا؛ لتطمئن نفس المخاطب إلىٰ الخبر(١).

وقد افتتح القرآن الكريم كثيرًا من السور القرآنية بالقسم، وأورد أقسامًا في ثنايا عدد غير قليل منها، ومن السور التي افتتحت بالقسم سورة البروج التي افتتحها ﷻ بالقسم بعدة أشياء، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾

فقد أقسم ﷻ بالسماء ذات البروج المتلألئة، وبيوم القيامة، وبالشاهد والمشهود وكلها أمور عظيمة جليلة؛ ليتناسب أمر المقسم به مع المقسم عليه، وذلك أساس البراعة والبيان، وقد وضح لنا الإمام ابن عاشور قيمة الاستهلال بالقسم في هذه السورة الكريمة حيث قال:" فِي افْتِتَاحِ السُّورَةِ بِهَذَا الْقَسَمِ تَشْوِيقٌ إِلَىٰ مَا يَرِدُ بَعْدَهُ وَإِشْعَارٌ بِأَهَمِّيَّةِ الْمُقْسَمِ عَلَيْهِ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَلْفِتُ أَلْبَابَ السَّامِعِينَ إِلَىٰ الْأُمُورِ الْمُقْسَمِ بِهَا؛ لِأَنَّ بَعْضَهَا مِنْ دَلَائِلِ عَظِيمِ الْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ الْمُقْتَضِيَةِ تَفَرُّدَ اللهِ تَعَالَىٰ بِالْإِلَهِيَّةِ وَإِبْطَالَ الشَّرِيكِ، وَبَعْضُهَا مُذَكِّرٌ بِيَوْمِ الْبَعْثِ الْمَوْعُودِ، وَرَمَزَ إِلَىٰ تَحْقِيقِ وُقُوعِهِ، إِذِ الْقَسَمُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِشَيْءٍ ثَابِتِ الْوُقُوعِ وَبَعْضُهَا بِمَا فِيهِ مِنَ الْإِبْهَامِ يُوَجِّهُ أَنْفُسَ السَّامِعِينَ إِلَىٰ تَطَلُّبِ بَيَانِهِ"(٢).

وقد بين المفسرون وجه الارتباط بين هذه الأشياء المقسم بها، قال ابن القيم:" فإن قيل فما وجه الارتباط بين هذه الأمور الثلاثة المقسم بها قيل هي بحمد الله في غاية

(١) ينظر: أسلوب القسم الظاهر في القرآن الكريم بلاغته وأغراضه، سامي عطا حسن، ص١، الناشر: جامعة آل البيت، المملكة الأردنية الهاشمية.

(٢) التحرير والتنوير: ٣٠/ ٢٣٧.

الارتباط والإقسام بها متناول لكل موجود في الدنيا والآخرة وكل منها آية مستقلة دالة علىٰ ربوبيته وإلهيته فأقسم بالعالم العلوي وهي السماء وما فيها من البروج التي هي أعظم الأمكنة وأوسعها ثم أقسم بأعظم الأيام وأجلها قدراً الذي هو مظهر ملكه وأمره ونهيه وثوابه وعقابه ومجمع أوليائه وأعدائه والحكم بينهم بعلمه وعدله ثم أقسم بما هو أعم من ذلك كله وهو الشاهد والمشهود"[١].

فهذا القسم من شأنه أن يعمق الإيمان في نفوس المؤمنين لما فيه من الدلالة علىٰ عظم الخالق- جلا وعلا- إذ أظهر هذا القسم قدرة الله التي لا حدود لها، يقول أحد المفسرين:" كما أن القسم بالسماء له مذاق خاص ذو أثر في النفس عجيب لمن تأمل وتدبر فليس في الكون المشاهد المحسوس آية أكبر منها، فلو تأمل الناس في هذه الآية لآمنوا وأذعنوا لله الواحد القهار، فهي آية عظيمة باعثة علىٰ اليقين، ولو تأملها الظلمة والطواغيت لما تجرأوا علىٰ سفك الدم الحرام، أو فتن العباد عن دينهم، ولعل هذا من مناسبة القسم بهذه الآية في معرض سوق قصة أصحاب الأخدود"[٢].

ووقوع القسم في ابتداء السور له أثره النفسي، وفي البدء به جذب لانتباه السامع؛ لوقوع القسم علىٰ سمعه في شيء من الرهبة، فإذا حدث ذلك صحبه تهيؤ نفسي لتلقي ما يقال، خاصة والقسم في أوائل السور يعطيها نضرة في بهجتها، ورونقا في ديباجتها[٣]، وسورة البروج افتتحها ﷻ بالقسم بأبراج السماء ليلفت النظر إلىٰ هذه

(١) التبيان في أقسام القرآن، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفىٰ: ٧ هـ)، ص٨٩، تحقيق: محمد حامد الفقي، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان.

(٢) تأملات في سورة البروج، للدكتور رياض المسيميري، ص٢٩٣،

(٣)الواضح في علوم القرآن، لمصطفىٰ ديب البغا، محيي الدين ديب مستو، ص ٢١٠، الناشر: دار الكلم الطيب / دار العلوم الانسانية – دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨ م.

إلىٰ الآيات الكونية، والمشاهد الطبيعية، للتوصل منها إلىٰ خالقها، والتأمل فيها تأملًا يبين مبلغ نعمتها، وأنها غير جديرة بالعبادة، وإنما الجدير بالعبادة هو خالقها جلا في علاه، فهذه النجوم كبيرة ضخمة هائلة لا يعمل حدودها إلا الله تعالىٰ، وهي دالة علىٰ كمال قدرة الله ﷻ، كما أقسم ﷻ باليوم الموعود وهو يوم القيامة وما فيه من مشاهد عظيمة من الحشر والعرض والحساب والجنة والنار والصراط والميزان ولا شك أن هذا التصوير لهذا المشهد العظيم يثير الفزع والرعب في نفوس البشر، كما أقسم سبحانه بالشاهد وهو كل من يشهد أهوال يوم القيامة من الحشر والعرض والحساب والجنة والنار والصراط والميزان، ويرىٰ كل هذا، يقول الإمام المراغي في تفسيره للآيات الكريمات:" أقسم سبحانه بما فيه غيب وشهود، وهو السماء ذات البروج، فإن كواكبها مشهود نورها، مرئي ضوؤها، معروفة حركاتها في طلوعها وغروبها، وكذلك البروج نشاهدها وفيها غيب لا نعرفه بالحس، وهو حقيقة الكواكب وما أودع الله فيها من القوىٰ وما فيها من عوالم لا نراها ولا ندرك حقيقتها، وأقسم بما هو غيب صرف، وهو اليوم الموعود وما يكون فيه من حوادث البعث والحساب والعقاب والثواب، وأقسم بما هو شهادة صرفة وهو الشاهد: أي ذو الحس، والمشهود: وهو ما يقع عليه الحس"[(١)].

(١) تفسير المراغي: ٣٠/ ٩٨، ٩٩.

المطلب الرابع: دلالة التوكيد

أسلوب التوكيد من الأساليب العربية التي نالت اهتمام النحويين والبلاغيين؛ وذلك لما له من صلة وطيدة بالمقام ومقتضىٰ الحال، والغرض منه تقوية الخبر، وتمكين المعنىٰ في نفس المخاطب، فهو وسيلة من وسائل التأثير في نفوس المخاطبين، وقد كان لهذا الأسلوب دور بارِز في الخطاب القرآني فقد استعمل القرآن الكريم هذا الأسلوب كما استعمله العرب كوسيلة لتثبيت المعنىٰ في نفوس قارئيه، وإقراره في أفئدتهم، وهو من بديع أساليب العرب، ولا يعد حشوًا، وإنما يؤتىٰ به لأغراض متعددة في الكلام وله أحوال تقضيه إذا خلا الكلام فيها من توكيد؛ كان إخلالًا بصحته(١).

فمراعاة أحوال المخاطبين الذين نتحدث إليهم باستخدام أسلوب التوكيد هو الذي يبرز لنا تلك المعاني النفسية، فالخبر له أغراض يلقىٰ من أجلها، فلابد أن يكون الكلام مطابقًا لمقتضىٰ الحال، فمقام المنكر يختلف عن مقام الشاك المتردد، وهذا يختلف عن خالي الذهن الذي لا شك فيه ولا تردد عنده، فالمتكلم ينبغي أن يراعي هذه الأحوال المختلفة، فما كان موجهًا إلىٰ خالي الذهن لا إنكار لديه، ولا شك في نفسه أو تردد، يلقىٰ الخبر إليه في العادة خاليًا من التأكيد، وما كان موجهًا إلىٰ من كان في نفسه شك أو تردد حسن تأكيد الخبر له، لإزالة ما في نفسه من الشك، وما كان موجهًا إلىٰ منكر كان التأكيد واجبًا له في الكلام، وهذا المنكر درجات، فمنهم من

(١) ينظر: شرح المفصل: ٢/ ٢٢١، والمثل السائر: ١/ ٢٤٢.

يكتفي بأداة التأكيد، ومنهم من يؤكد له الكلام بمؤكدين، أو بثلاث فأكثر حسب حال الملقىٰ عليه الخبر من الشك أو التردد أو الإنكار(١).

وقد اشتملت سورة البروج علىٰ ألوان عديدة من ألوان التوكيد تبعًا لاختلاف الأحوال فيها، وفيما يلي بيان طرف منها:

١- التأكيد بـ (إن):

(إن) عدها علماء البلاغة من أشهر أدوات التوكيد وأبرزها، وقد نبه علىٰ دلالتها علىٰ التوكيد شيخ البلاغيين الإمام عبد القاهر الجرجاني حيث قال:" بيان في "إن" ومجيئها للتأكيد: ثم إنَّ الأَصْلَ الذي ينبغي أنْ يكونَ عليه البناءُ، هو الذي دُوِّن في الكتبِ، من أنها للتأكيدِ.."(٢).

وقد جاء التأكيد بها في قول الله تعالىٰ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾﴾ اشتملت الآيتين الكريمتين علىٰ أداة التوكيد(إن) التي أفادت تقرير المعنىٰ وتوكيده في نفس المخاطب، وتثبيت مضمونه في ذهن المتلقي، ومواجهة انكار الطغاة الكفار الذين ينكرون ما سيحل بهم من عذاب الله نتيجة لما فعلوه بالمؤمنين الموحدين، كما أفاد التوكيد في الآية الثانية تمكين هذه البشرىٰ التي

---

(١) ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها، دكتور/ فضل حسن عباس،١/ ١٢٩، الناشر: دار الفرقان للطباعة والنشر-الأردن، الطبعة الرابعة(١٩٩٧م).

(٢) دلائل الإعجاز في علم المعاني، لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفىٰ: ٤٧١ هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر، الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة

الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م: ١/ ٣٢٥.

تضمنتها الآية الكريمة في قلوب المؤمنين الموحدين لكي يتمسكوا بإيمانهم ويثبتوا علىٰ ما هم عليه ولا يلتفتوا لهؤلاء الكفار المعتدين وأضاليلهم، قال البقاعي في توضيحه لمعنىٰ الآيتين الكريمتين :" .. بل لا بد أن ينتقم لهم من أعدائه ويعليهم بعلائه، ولذلك قال مستأنفًا جوابًا لمن يقول: فما فعل بهم؟ مؤكداً لإنكار الكفار ذلك: ﴿إن الذين فتنوا﴾ أي خالطوا من الأذىٰ بما لا تحتمله القوىٰ.." [(١)]، وقال ابن عاشور أيضًا:" إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ : ...وَأَكَّدَ الْخَبَرَ بِحرف التوكيد وبالتوكيد اللَّفْظِيِّ لِتَحْقِيقِ الْوَعْدِ، وَالِاهْتِمَامُ يَدْفَعُ النَّقِيصَةَ عَنْهُمْ فِي الْفَضْلِ"[(٢)]، وقال بعض المفسرين أيضًا:" (إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذابُ الْحَرِيقِ) كلام مستأنف مسوق لذكر وعيد المجرمين أولا ثم يردفه بذكر ما أعد للمؤمنين، وإن حرف مشبّه بالفعل والذين اسمها"[(٣)].

مما تقدم يمكن القول بأن التأكيد ب(إن) في الآيتين الكريمتين جاء للتأكيد علىٰ تحقيق الوعيد لهؤلاء المجرمين بالعذاب الأليم الذي ينتظرهم وللتأكيد كذلك علىٰ تحقيق الوعد بالنعيم الأبدي لهؤلاء الموحدين؛ ففي هاتين الآيتين مقابلة بديعة بين مصير الكفار وما ألوا إليه في جهنم وبئس المصير، ومصير المؤمنين وما ألوا إليه في الجنة ونعم الفوز الكبير، واستعمال أداة التوكيد(إن) في المقابلة بين هذين المصرين المختلفين له دور كبير في تثبيت المعنىٰ في النفس، وتحديده في الذهن، وإظهاره إظهارًا واضحًا قويًّا مترابطًا، فوعد الله للفريقين مُتَيَقَّنُ الثبوت مأمونٌ من الفَوات لا مجال أبدًا لإنكاره أو التشكيك فيه.

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٢١/ ٣٥٩.

(٢) التحرير والتنوير: ١٤/ ٣٠٠.

(٣) ينظر: الجدول في إعراب القرآن وبيانه: ١٠/ ٤٣٤.

٢- التأكيد بـ (إن) واللام واسمية الجملة:

جاء ذلك في قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾﴾فقد استعمل التعبير القرآني أسلوب التوكيد في الآية الكريمة، حيث أكد الكلام بأن واللام واسمية الجملة؛ لأن المقام مقام إنكار فاحتاج الكلام إلىٰ تقوية المعنىٰ وتثبيته في نفوس المخاطبين، وتمكينه في أذهانهم فاستدعىٰ كل هذه المؤكدات لمواجهة ما عليه الكفار الطغاة من الإنكار، وتثبيتًا للمعنىٰ في قلب النبي-ﷺ-، الأمر الذي يجعله مطمئنًا بنصره له، واثقًا بتأييده وعونه ﷻ، قال الرازي في تفسيره للآية الكريمة:" [فِي قَوْلُهُ تَعَالَىٰ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ] اعْلَمْ أَنَّهُ تَعَالَىٰ لَمَّا ذَكَرَ وَعِيدَ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ أَوَّلًا وَذَكَرَ وَعْدَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثَانِيًا أَرْدَفَ ذَلِكَ الْوَعْدَ وَالْوَعِيدَ بِالتَّأْكِيدِ فَقَالَ لِتَأْكِيدِ الْوَعِيدِ: إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ وَالْبَطْشُ هُوَ الْأَخْذُ بِالْعُنْفِ فَإِذَا وُصِفَ بِالشِّدَّةِ فَقَدْ تَضَاعَفَ وَتَفَاقَمَ"(١).

وقد تحدث ابن الأثير عن الدلالة المستفادة من مجيء لام التوكيد في الكلام حيث قال:" ومما يجري هذا المجرىٰ ورود لام التوكيد في الكلام، ولا يجيء ذلك إلا لضرب من المبالغة، وفائدته أنه إذا عبر عن أمر يعزّ وجوده أو فعل يكثر وقوعه جيء باللام تحقيقًا لذلك"(٢)، فاللام في لفظة (لشديد) أفادت المبالغة في هذه الشدة فدلت

---

(١) تفسير الرازي: ٣١/ ١١٤.

(٢)المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لأبي الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب (المتوفىٰ: ٦٣٧ هـ)، ٢/ ٥٢، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر - بيروت

طبعة: ١٤٢٠هـ.

علىٰ أن هذه الشدة هي في الحقيقة شدة يزيد عنفها علىٰ ما في البطش من العنف المشروط في تسميته، فهو عنف مضاعف"[١].

مما تقدم يمكن القول بأن التعبير القرآني في الآية الكريمة أراد التأكيد علىٰ أن عقاب الله سبحانه للمجرمين عقاب شديد بالغ الغاية في الشدة، وهو متمكن منهم، لا يجدون سبيلا لإنكاره والفرار منه فاستعمل كل هذه المؤكدات لتأكيد هذا المعنىٰ وتقريره في أذهان المخاطبين وهذا بلا شك يترك أثرًا كبيرًا في نفوسهم إذ يتضمن هذا التوكيد الوعيد الشديد للمشركين، والتسلية للنبي –ص– عمّا يكابده من كفّار قومه، وشدًا لأزره ، ولفت انتباهه إلىٰ أن هؤلاء المشركين هم في قبضة الله، لا يفلتون منه أبدًا.

٣- التأكيد بـ (إن) وضمير الفصل(هو):

وذلك في قوله تعالىٰ ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ ١٣﴾

استعمل التعبير القرآني في الآية الكريمة أداة التوكيد(إن) وضمير الفصل (هو) لتأكيد المعنىٰ المراد من الآية وتقريره في ذهن السامع، قال بعض المفسرين في تفسيره للآية الكريمة:" (إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ) إن واسمها وهو مبتدأ وجملة يبدئ خبر هو والجملة خبر إن ويجوز أن يكون هو ضمير فصل وجملة يبدئ خبر إنه ويعيد عطف علىٰ يبدئ أي من كان قادرًا علىٰ الإبداء والإيجاد قادر بحكم الطبع والبداهة علىٰ الإعادة"[٢].

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٢١/ ٣٦١.

(٢) إعراب القرآن وبيانه: ١٠/ ٤٣٥.

وقد أفادت أداة التوكيد (إن) ربط هذه الآية الكريمة بما قبلها، فهي بجانب تأكيدها لمعنىٰ الجملة، تربط ما بعدها بما قبلها، يقول شيخ البلاغيين عبد القاهر الجرجاني في هذا الصدد:" دخول "إن" في الكلام، وخصائصها: ..وذلك أنه هَلْ شيءٌ أَبْينُ في الفائدةِ، وأَدلّ علىٰ أنْ ليس سواءً دخولُها وأنْ لا تدخل، أنكَ ترىٰ الجملةَ إذا هيَ دخلَتْ تَرتبِطُ بما قبْلَها وتأتلفُ معه وتَتَّحدُ به، حتىٰ كأنَّ الكلامَيْنِ قد أُفرِغا إفراغـًا واحداً، وكأَن أحدَهُما قد سُبِكَ في الآخَرِ؟

هذه هي الصورةُ، حتىٰ إذا جئتَ إلىٰ "إنَّ" فأسقطتَها، رأيتَ الثاني منهما قد نَبَا عن الأولِ، وتجافىٰ معناه عن معناه، ورأيْتَه لا يتَّصلُ به ولا يكونُ منه بسبيلٍ حتىٰ تجئ بالفاء .. ثم لا ترىٰ الفاء تعيد الجملتين إلىٰ ما كانتا عليه من الألفة، وترد عليك الذىٰ كنت تجد ب(إن) من المعنىٰ، وهذا الضرب كثير من التنزيل جدًا.."[1].

وهو ما أكد عليه الإمام ابن عاشور في تفسيره للآية الكريمة حيث ذكر أن هذه الآية الكريمة ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالآية السابقة عليها، حيث قال:"﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾﴾تَصْلُحُ لِأَنْ تَكُونَ اسْتِئْنَافًا ابْتِدَائِيًّا انْتَقَلَ بِهِ مِنْ وَعِيدِهِمْ بِعَذَابِ الْآخِرَةِ إِلَىٰ تَوَعُّدِهِمْ بِعَذَابٍ فِي الدُّنْيَا يَكُونُ مِنْ بَطْشِ اللهِ، أَرْدَفَ بِهِ وَعِيدَ عَذَابِ الْآخِرَةِ لِأَنَّهُ أَوْقَعُ فِي قُلُوبِ الْمُشْرِكِينَ إِذْ هُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ فِي أَمْنٍ مِنَ الْعِقَابِ إِذْ هُمْ لَا يُصَدِّقُونَ بِالْبَعْثِ فَحَسِبُوا أَنَّهُمْ فَازُوا بِطِيبِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَالْمَعْنَىٰ: أَنَّ اللهَ يَبْطِشُ بِهِمْ فِي الْبَدْءِ وَالْعَوْدِ، أَيْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَتَصْلُحُ لِأَنْ تَكُونَ تَعْلِيلًا لِجُمْلَةِ: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾﴾؛ لِأَن الَّذِي يبدئ وَيُعِيدُ قَادِرٌ عَلَىٰ إِيقَاعِ الْبَطْشِ الشَّدِيدِ فِي الدُّنْيَا وَهُوَ الْإِبْدَاءُ، وَفِي الْآخِرَة وَهُوَ إِعَادَةُ الْبَطْشِ...وَضَمِيرُ الْفَصْلِ فِي قَوْلِهِ: هُوَ يُبْدِئُ لِلتَّقَوِّي،

(١) التحرير والتنوير: ٣٠/ ٢٤٩.

أَيْ لِتَحْقِيقِ الْخَبَرِ وَلَا مَوْقِعَ لِلْقَصْرِ هُنَا، إِذْ لَيْسَ فِي الْمَقَامِ رَدٌّ عَلَىٰ مَنْ يَدَّعِي أَنَّ غير الله يبدئ وَيُعِيدُ"[١].

مما تقدم يمكن القول بأن التوكيد في هذه الآية الكريمة قد تم بأداتين هما (إن) الواقعة في صدر الآية الكريمة وضمير الفصل(هو) الذي تلاها لتقوية هذا التأكيد كما ذكر الإمام ابن عاشور، والميزة البلاغية التي تكمن في استعمال التعبير القرآني لهاتين الأداتين في التعبير هي لفت انتباه السامع إلىٰ ما سيرد بعدهما من أخبار، وتهيئته لسماعها لتستقر في النفس ونثبت بها كما أن ضمير الفصل يثير الذهن لمعرفة المراد منه فإذا جاء تفسيره استقر هذا التفسير في النفس، وتأكد فيها، وليس بكثير استخدام هذا الضمير في القرآن، وإنما يكون في المواضع التي يراد بها تعظيم أمر وتفخيمه عن طريق إبهامه ثمّ إيضاحه[٢].

ويقوي التوكيد في ضمير الفصل أنه يفيد القصر والاختصاص، كما في الآية الكريمة التي بين أيدينا فإن ضمير الفصل جعل فعلي البدء والإعادة خاصين بالله وحده وقصرهما عليه ﷻ فلا يشاركه فيهما غيره، وقد أكد هذا المعنىٰ البقاعي في تفسيره للآية الكريمة حيث قال:" ولما كان هذا البطش لا يتأتىٰ إلا لكامل القدرة، دل علىٰ كمال قدرته واختصاصه بذلك بقوله مؤكداً لما لهم من الإنكار: ﴿إنه﴾ وزاد التأكيد بمبتدأ آخر ليدل علىٰ الاختصاص فقال: ﴿هو﴾ أي وحده ﴿يبدئ﴾ أي يوجد ابتداء أي خلق أراد علىٰ أي هيئة أراد ﴿ويعيد ﴾ أي ذلك المخلوق بعد إفنائه في أي

(١)دلائل الإعجاز في علم المعاني: ١/ ٣١٥، ٣١٦.

(٢) من بلاغة القرآن، لأحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي (المتوفىٰ: ١٣٨٤ هـ)، ص١١٨، الناشر: نهضه مصر – القاهرة، ٢٠٠٥م.

وقت أراده، وغيره لا يقدر علىٰ شيء من ذلك"[١]، وقال السعدي أيضًا:" ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ أي: هو المنفرد بإبداء الخلق وإعادته، فلا مشارك له في ذلك[٢].

فضمير الفصل هنا أفاد تقوية مضمون الخبر وترسيخ معناه في ذهن المخاطب وتأكيده في نفسه، فالتوكيد معه أشد وأنسب للمقام حيث إن الإبداء والإعادة قد ينكرهما الكفار ومن لا يؤمن بقدرة الله ﷻ، فاشتملت الآية الكريمة علىٰ هذه المؤكدات لنفي هذا الإنكار بالإضافة إلىٰ ما فيها من تثبيت المعنىٰ وتأكيده في ذهن المتلقي.

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٢١/ ٣٦١.

(٢) تفسير السعدي: ص٩١٨.

المطلب الخامس: دلالات التنكير

إن التنكير والتعريف من القضايا المهمة التي وردت في القرآن الكريم وذلك لعظم الوظيفة التي يؤديها كل منهما في إبراز جماليات الكلام ودلالته، وما يحملانه من قيم فنية وجمالية تضفي بنا إلىٰ معان نفسية عميقة تظهر مدىٰ عظمة هذا الكتاب العزيز وإعجازه ، وقد استخرج عن طريقهما أهلُ البيان أنواعـًا من المعاني واللطائف والأوجه التفسيرية، وبعض معاني التعريف والتنكير ظاهرة بيّنة، وبعضها دقيقة جداً[(١)]، ولذلك قال بدر الدين الزركشي: "والكلام في التعريف والتنكير أدقّ من الدقيق"[(٢)].

وقد جاء التنكير في سورة البروج في مواضع عديدة منها لغاية مقصودة حيث يهدف السياق القرآني إلىٰ زيادة المعنىٰ للفظ المنكر ، وقد تنوع السياق في السورة الكريمة ليدل علىٰ التعظيم أو التكثير، أو التعميم ، وفيما يلي بيان بعض أنواع هذه الدلالات التي أفادها التنكير في السورة الكريمة:

١- **إفادة التكثير والتعميم:** فقد أفاد التنكير معنىٰ التكثير والتعميم في قول الله تعالىٰ

﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ ﴾ فقد جاءت كلمتا (شاهد ومشهود) بالتنكير وقد علل المفسرون ذلك بأن التنكير هنا قد أفاد التعميم فجميع الخلائق سيشهدون علىٰ ما

---

(١) التعريف والتنكير بين الدلالة والشكل، أحمد السيد نحلة، ص٦١، دار التوني للطباعة والنشر، ١٩٩٧م.

(٢)البحر المحيط في أصول الفقه، لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفىٰ: ٧٩٤ هـ)

، ٤/ ١٤٣، الناشر: دار الكتبي، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

سيقع من أهوال في ذلك اليوم وهو يوم القيامة كما أفاد التنكير كذلك كثرة الشهود من الخلائق في ذلك اليوم، كما أفاد كذلك كثرة ما في هذا اليوم من الأهوال العظيمة التي ستقع فيه، يقول الرازي في هذا الصدد:" وَطَرِيقُ تَنْكِيرِهِمَا إِمَّا مَا ذَكَرْنَاهُ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾﴾ [1] كَأَنَّهُ قِيلَ: وَمَا أَفْرَطَتْ كَثْرَتُهُ مِنْ شَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ، وَإِمَّا الْإِبْهَامُ فِي الْوَصْفِ كَأَنَّهُ قِيلَ: وَشَاهِدٌ وَمَشْهُودٌ لَا يُكْتَنَهُ وَصْفُهُمَا"[2]، وقال أبو حيان:" وَشاهِدٍ وَمَشْهُودٍ: هَذَانِ مُنَكَّرَانِ، وَيَنْبَغِي حَمْلُهُمَا عَلَىٰ الْعُمُومِ لِقَوْلِهِ: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾﴾ ، وَإِنْ كَانَ اللَّفْظُ لَا يَقْتَضِيهِ، لَكِنَّ الْمَعْنَىٰ يَقْتَضِيهِ، إِذْ لَا يُقْسَمُ بِنَكِرَةٍ وَلَا يُدْرَىٰ مَنْ هِيَ، فَإِذَا لُوحِظَ فِيهَا مَعْنَىٰ الْعُمُومِ، انْدَرَجَ فِيهَا الْمَعْرِفَةُ فَحَسُنَ الْقَسَمُ، وَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يُحْمَلَ مَا جَاءَ مِنْ هَذَا النَّوْعِ نَكِرَةً، كَقَوْلِهِ: (وَالطُّورِ وَكِتابٍ مَسْطُورٍ)، وَلِأَنَّهُ إِذَا حُمِلَ وَكِتابٍ مَسْطُورٍ عَلَىٰ الْعُمُومِ دَخَلَ فِيهِ مَعْنَيَانِ: الْكُتُبُ الْإِلَهِيَّةُ، كَالتَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ، فَيَحْسُنُ إِذْ ذاك القسم به"[3].

ويلاحظ أن الشاهد والمشهود قد عطفا بالواو علىٰ ما قبلهما وهو قوله تعالىٰ ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴿٢﴾﴾.

وعلىٰ الرغم من أن المعطوف عليه قد جاء معرفًا بالألف واللام إلا أن هاتين الكلمتين قد نكرتا وذلك للفت انتباه السامعين إليهما وتحريك الأنظار نحوهما ولإعمال الفكر في معرفة المراد منهما، فالله ﷻ إذا أقسم بشيء من خلقه فإنما يقسم به ليلفت الانتباه إليه، ولينبه علىٰ جلالة قدره، وعظمة شأنه، بالإضافة إلىٰ ما في هذا

(١)التكوير: الآية (١٤).

(٢) تفسير الرازي: ٣١/ ١٠٧.

(٣) البحر المحيط: ١٠/ ٤٤٢.

التنكير من التعظيم له والتهديد لمنكريه مما يثير الرعب والفزع في نفوسهم حتىٰ يرجعوا عن ما اقترفوه من جرم في حق المؤمنين الموحدين.

وقد وضح القِنَّوجي الغرض من التنكير في الآية الكريمة حيث قال:" (وشاهد ومشهود) نكرهما دون بقية ما أقسم به لاختصاصهما من بين الأيام بفضيلة ليست لغيرهما فلم يجمع بينهما وبين البقية بلام الجنس، وهذا جواب أيضًا عما يقال لم خصصهما بالذكر دون بقية الأيام؟ وإنما لم يعرفا بلام الجهد لأن التنكير أدل علىٰ التفخيم والتعظيم بدليل قوله تعالىٰ (وإلهكم إله واحد) والمراد بالشاهد من يشهد في ذلك اليوم من الخلائق أي يحضر فيه والمراد بالمشهود ما يشاهد في ذلك اليوم من العجائب"(١).

وقد رجح الإمام الطبري دلالة التعميم والشمول في هاتين الكلمتين بعد أن ذكر أقوال العلماء في المراد منهما، حيث قال:" والصواب من القول في ذلك عندنا: أن يقال: إن الله أقسم بشاهد شَهِدَ، ومشهود شُهِدَ، ولم يخبرنا مع إقسامه بذلك أيّ شاهد وأيّ مشهود أراد، وكلّ الذي ذكرنا أن العلماء قالوا: هو المعنيُّ مما يستحقّ أن يُقال له:(شَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ)" (٢)، وهذا المعنىٰ أكده ابن القيم كذلك حيث قال:" ثم أقسم سبحانه بالشاهد والمشهود مطلقين غير معينين وأعم المعاني فيه أنه المُدْرِك والمُدرَك والعالم والمعلوم والرائي والمرئي وهذا أليق المعاني به وما عداه من الأقوال ذكرت علىٰ وجه التمثيل لا علىٰ وجه التخصيص... فالمشهود من أعظم آياته وكذلك

(١) فتحُ البيان في مقاصد القرآن: ١٥/ ١٥٨.

(٢) تفسير الطبري: ٢٤/ ٣٣٧.

الشاهد فكل ما وقع عليه اسم شاهد ومشهود فهو داخل في هذا القسم فلا وجه لتخصيصه ببعض الأنواع أو الأعيان إلا علىٰ سبيل التمثيل"[١].

وفي هذا القسم لون من التشويق، وضرب من الإثارة، وتحريك النفس، وتهيئة المخاطب لتلقي الخطاب، وتأكيده لديه، وتثبيته في ذهنه، وترسيخه في قلبه، وتقريره في وجدانه؛ ولذا فإن القسم يتقدم الأمور المهمة التي يحرص علىٰ تأكيدها وتثبيتها في وجدان المخاطبين، لأنه يلفت السامع ويجذب انتباهه، ويحرك عاطفته، ويثير وجدانه، حتىٰ يصبح في شوق إلىٰ الإحاطة بالجواب، وإدراك المعنىٰ المقسم عليه فيتمكن في نفسه أيما تمكن[٢].

٢- **إفادة التعظيم والتفخيم** كما في قوله تعالىٰ: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾﴾.

فقد جاءت كلمة (حديث) في الآية الكريمة بصيغة التنكير للدلة علىٰ التفخيم والتعظيم والتهويل؛ فخبرهم عظيم، ونبأهم عجيب، وشأنهم يستحق الوقوف عنده، ويستأهل التأمل فيه، وقد أشار المفسرون إلىٰ الغرض النفسي من وراء هذا التنكير في الآية الكريمة حيث قال ابن عطية:" هَلْ أَتاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ : هذا توقيف للنبي ﷺ وتقرير بمعنىٰ: لجعل هؤلاء الكفرة الذين يخالفونك وراء ظهرك ولا تهتم بهم، فقد انتقم الله من أولئك الأقوياء الشداد، فكيف هؤلاء"[٣]، وقال الألوسي:" والمراد بحديثهم ما صدر عنهم من التمادي في الكفر والضلال وما حل بهم من العذاب والنكال، والمعنىٰ قد أتاك حديثهم وعرفت ما فعلوا وما فعل بهم فذكر قومك بأيام

---

(١) التبيان في أقسام القرآن: ص٨٩، ٩١.

(٢)التشويق في الحديث النبوي طرقه وأغراضه، د/ بسيوني عبد الفتاح فيود، ص٤٥، الناشر: مطبعة الحسين الإسلامية، الطبعة الأولىٰ ١٩٩٣م.

(٣) المحرر الوجيز: ٥/ ٤٦٣.

الله تعالىٰ وشؤونه سبحانه، وأنذرهم أن يصيبهم مثل ما أصاب أمثالهم"[١]، وقال ابن عاشور:" وَالْخِطَابُ لِغَيْرِ مُعَيَّنٍ مِمَّنْ يُرَادُ مَوْعِظَتُهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ كِنَايَةً عَنِ التَّذْكِيرِ بِخَبَرِهِمْ لِأَنَّ حَالَ الْمُتَلَبِّسِينَ بِمِثْلِ صنيعهم الراكبين رؤوسهم فِي الْعِنَادِ، كَحَالِ مَنْ لَا يَعْلَمُ خَبَرَهُمْ فَيُسْأَلُ هَلْ بَلَغَهُ خَبَرُهُمْ أَوْ لَا، أَوْ خِطَابًا لِغَيْرِ مُعَيَّنٍ تَعْجِيبًا مِنْ حَالِ الْمُشْرِكِينَ فِي إِعْرَاضِهِمْ عَنِ الِاتِّعَاظِ بِذَلِكَ... وَالْحَدِيثُ: الْخَبَرُ. وَتَقَدَّمَ فِي سُورَةِ النَّازِعَاتِ، والْجُنُودِ: جَمْعُ جُنْدٍ وَهُوَ الْعَسْكَرُ الْمُتَجَمِّعُ لِلْقِتَالِ"[٢].

فالتنكير في الآية الكريمة كان له وقعه في النفس لأنه يحمل في طياته ضربًا من الإثارة والتشويق لمعرفة خبر هؤلاء الجموع الكافرة التي تجندت علىٰ الأنبياء في الماضي، وتهيئة المخاطب لتلقي خبر هؤلاء وترسيخه في وجدانهم؛ لأنه جاء بعد تهيئة وتشويق لمعرفته وهذا أوقع في النفس الإنسانية لأنها تذهب فيه كل مذهب ، كما أنه أثبت وآكد في الذهن مما لو جاء من غير تمهيد وتشويق له.

وفي قوله تعالىٰ ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾﴾.

جاء المصدر (تكذيب) بصيغة التنكير في الآية الكريمة لإفادة التعظيم والتهويل والتفخيم من أمر هؤلاء الكفرة المكذبين، فقد بلغ كذبهم حد الغاية، ووصلوا إلىٰ النهاية، فهم يكذبون بكل ما جاء به الرسول –صلىٰ الله عليه وسلم–، رغم وضوح الأدلة والبراهين علىٰ صدق ما جاء به، وقد أشار المفسرون إلىٰ دلالة التنكير في الآية الكريمة حيث قال أبو الفداء:" بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا من قومك فِي تَكْذِيبٍ: إضراب عن مماثلتهم لهم وبيان لكونهم أشد منهم في الكفر والطغيان وتنكير تكذيب للتعظيم كأنه

(١) روح المعاني: ١٥/ ٣٠٣.

(٢) التحرير والتنوير: ٣٠/ ٢٥٠.

قيل ليسوا مثلهم في ذلك بل هم أشد منهم في استحقاق العذاب واستيجاب العقاب فإنهم مستقرون في تكذيب شديد للقرآن الناطق بذلك لكن لأنهم يكذبون بوقوع الحادثة بل يكذبون كون ما نطق به قرآنا من عند الله مع وضوح أمره وظهور حاله بالبينات الباهرة .. وفيه إشارة إلىٰ تكذيب المنكرين لأهل الحق ووقوفهم مع حالهم واحتجابهم عن حال من فوقهم"[1].

ولا شك أن الغرض النفسي من وراء هذا التنكير هو تسلية النبي –صلىٰ الله عليه وسلم– وصحابته ﭫ ببيان أن الكفار في كل عصر متشابهون وأن شأنهم مع كل نبي وشيعته جار علىٰ هذا المنهج، فهم دائمًا يؤذون المؤمنين ويعادونهم، ويكذبون أنبياء الله ، ولم يرسل الله نبيًّا إلا لقيٰ من قومه مثل ما لقيٰ هؤلاء من أقوامهم، فعلىٰ الرسول والمؤمنين التدرع بالصبر وتحذير هؤلاء الكفرة المكذبين من مغبة هذا التكذيب وأنه سيصيبهم مثل ما أصاب هذه الأقوام السابقة الذين انتقم الله منهم[2]، وفي هذا من الوعد والوعيد والتهديد لهؤلاء المكذبين ما لا يخفىٰ ، وفيه كذلك شد لعزائم المؤمنين علىٰ التدرع بالصبر وعدم الالتفات لصنيع هؤلاء الطغاة المعتدين.

وفي قوله تعالىٰ ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ۝٢٢﴾.

عبر ﷻ عن القرآن الكريم بصيغة التنكير تنويهًا بشأن القرآن الكريم وتعظيمًا له، وإشارة إلىٰ شرفه، ونظمه، وإعجازه، وعلو منزلته، ورفعته بين الكتب، وعدم تطرق الريب إليه، وعدم ضرره بتكذيب هؤلاء الكفرة المكذبين، وقد عبر عن القرآن بالضمير (هو) دون أن يسبق له ذكر في الكلام إيذانًا بأنه لعظمته في القلوب لا غيبة له

(١) روح البيان: ١٠/ ٣٩٥، وتفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن: ٣١/ ٣٠٣.

(٢) ينظر: تفسير المراغي: ٣٠/ ١٠٦، وتفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن: ٣١/ ٢٨٥.

أصلا فشهرته أغنت عن التصريح باسمه الظاهر(١)، ثم وصف القرآن بأنه في لوح محفوظ للدلالة علىٰ حفظه من التبديل والتحريف والتصحيف وكل شبهة وريب في نظمه أو معناه فلا يضره تشكيك المشككين، ولا تكذيب المكذبين، ولا إنكار المنكرين.

يقول ابن عاشور في تفسيره للآية الكريمة:" ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١﴾ وَكُلَّمَا جَاءَ قُرْآنٍ مُنكَّرًا فَهُوَ مَصْدَرٌ وَأَمَّا اسْمُ كِتَابِ الْإِسْلَامِ فَهُوَ بِالتَّعْرِيفِ بِاللَّامِ لِأَنَّهُ عَلَمٌ بِالْغَلَبَةِ؛ فَالْإِخْبَارُ عَنِ الْوَحْيِ الْمُنَزَّلِ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ بِاسْمِ قُرْآنٍ إِشَارَةٌ عُرْفِيَّةٌ إِلَىٰ أَنَّهُ مُوحًىٰ بِهِ تَعْرِيضٌ بِإِبْطَالِ مَا اخْتَلَقَهُ الْمُكَذِّبُونَ: أَنَّهُ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ أَوْ قَوْلُ كَاهِنٍ أَوْ نَحْوُ ذَلِكَ،.. وَالْمَجِيدُ: الْعَظِيمُ فِي نَوْعِهِ كَمَا تَقَدَّمَ فِي قَوْلِهِ: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴾ وَمُجِّدَ الْقُرْآنِ لِأَنَّهُ أَعْظَمُ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ وَأَكْثَرُهَا مَعَانِيَ وَهَدْيًا وَوَعْظًا، وَيَزِيدُ عَلَيْهَا بِبَلَاغَتِهِ وَفَصَاحَتِهِ وَإِعْجَازِهِ الْبَشَرَ عَنْ مُعَارَضَتِهِ"(٢)، ويقول الإمام المراغي أيضًا:" ثم رد علىٰ تماديهم في تكذيب القرآن وادعائهم أنه أساطير الأولين فقال:(بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ. فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ) أي إن هذا الذي كذبوا به كتاب شريف متفرد في النظم والمعنىٰ، محفوظ من التحريف، مصون من التغيير والتبديل"(٣).

فالغرض النفسي من التنكير هنا هو بيان علو درجة القرآن الكريم فهو قرآن عظيم عالي المنزلة والمكانة في القلوب، ومكتوب عنده ﷻ في لوح محفوظ مصان من

(١) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٢١/ ٣٦٧.

(٢) التحرير والتنوير: ٣٠/ ٢٥٣، ٢٥٤.

(٣) ينظر: تفسير المراغي: ٣٠/ ١٨٠.

التغيير والتحريف وليس كما يزعم هؤلاء المكذبون الضالون فهو منزل من عند الله تعالىٰ لا يتطرق إليه ريب لأنه كلام رب العالمين.

مما تقدم يتضح لي قيمة هذا الأسلوب وأهميته من الناحية النفسية، ففيه تحريك للنفس وإعمال للذهن للوقوف علىٰ المراد لما فيه الإبهام، وهذا له دور نفسي بديع " فالنفس إذا وقفت علىٰ كلام غير مذكور تمام المقصود منه تشوقت إلىٰ كماله، فلو وقعت علىٰ تمام المقصود منه لم يبق لها هناك تشوقًا أصلا لأن تحصيل الحاصل محال، وإن لم تقف علىٰ شيء منه فلا شوق لها هناك، فإما إذا عرفته من بعض الوجوه دون بعض فإن القدر المعلوم يحدث شوقًا إلىٰ ما ليس بمعلوم"[1].

(١) ينظر: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة، يحيي بن حمزة بن علي بن إبراهيم اليمني، ٢/ ٨٠، دار الكتب العلمية بيروت، طبعة ١٩٨٢م.

الخاتمـــة

الحمدُ للهِ الذي بنعمته تَتِمُّ الصالحاتُ، وبفضله تُرفَعُ الدرجاتُ، وبجوده تَكمُلُ الغاياتُ، ويتنزَّلُ الخيرُ والبركاتُ، والصلاةُ والسلامُ علىٰ مَن هُوَ خيرٌ لنا في الحياةِ وفي المماتِ، وعلىٰ آلِهِ وأصحابِه الثِّقَات، ذَوِي المَكْرُمَات... وبعد:

فبعد هذه المعايشة الماتعة مع سورة البروج وتحليلها في ضوء علم اللغة النفسي يمكن أن نخلص إلىٰ النتائج الآتية:

١- أثبتت الدراسة أن الخطاب القرآني لا يحمل دلالات لغوية فحسب وإنما له أبعاد ودلالات نفسية متنوعة تظهر من خلال دراسة نصوصه الشريفة وتحليلها علىٰ المستويات اللغوية المتعددة الصوتية والصرفية والتركيبية.

٢- أثبتت الدراسة أن المفسرين كان لهم دور كبير في الإشارة إلىٰ بعض الدلالات النفسية لنصوص القرآن الكريم في ثنايا تفسيرهم لها، وعلىٰ رأس هؤلاء المفسرين ابن عاشور في كتابه العظيم التحرير والتنوير.

٣- أثبتت الدراسة أيضًا أن القرآن الكريم مشحون في كثير من سوره وقصصه بالعواطف والانفعالات، وقد كشفت هذه الدراسة عن دلالات نفسية كثيرة تفوح بها سورة البروج.

٤- أثبتت الدراسة أيضًا أهمية الإحاطة والإلمام بالجو العام للسورة، ومناسبتها لما قبلها؛لما له من أثر كبير في الكشف عن الدلالات النفسية فيها.

٥- اشتملت سورة البروج علىٰ مقامات وسياقات متنوعة تزخر بمعان عاطفية وانفعالات نفسية رائعة لا يمكن تفسيرها إلا من خلال دراسة البنية اللغوية لهذه السياقات المختلفة.

٦- احتوت السورة الكريمة علىٰ كافة الوسائل والأساليب المستخدمة في التبليغ والإقناع وإقامة الحجة علىٰ الناس، وذلك: بخطاب العقل، والقلب، والنفس، وبالقسم، وبالترغيب بالجنة، والترهيب بالنار؛ وبذكر صفات الكمال لله، وعدله، وبطشه، ومغفرته، وعرشه، ومجده، وقدرته علىٰ فعل ما يريد..إلخ؛ ولذا نجد أن الخطاب فيها هو خطاب نفسي يتوجه إلىٰ النفس فيعمل علىٰ ترغيبها، أو ترهيبها، أو تشويقها، ومن ثم لا يمكن تجاوز هذه الدلالات النفسية المختلفة عند البحث عن دلالة الألفاظ في السورة الكريمة حيث تنعكس المعاني النفسية بصورة واضحة تجاه الألفاظ، فتكشف الأجواء النفسية عن جانب من المعنىٰ يختبئ خلف الألفاظ.

٧- أثبتت الدراسة كذلك أن الدلالات الصوتية والصرفية والتركيبية قد ساهمت جميعها في الكشف عن الدلالات النفسية التي تزخر بها هذه السورة الكريمة.

٨- أثبتت الدراسة كذلك أن هناك علاقة بين الأصوات ومدلولاتها في السورة الكريمة؛ فقد عبرت الأصوات بمخرجها وصفاتها عن مضمون الآيات وكشفت عن المعنىٰ النفسي الكامن وراءها، وقد اختيرت الأصوات بعناية في السورة الكريمة لتحاكي الجوانب النفسية المتباينة التي تحملها الآيات، فعند التهديد والوعيد والتخويف والتقريع والتذكير بما حدث للأمم السابقة الطاغية اختيرت الأصوات الشديدة والمجهورة والمقلقلة التي تتناسب مع ذلك المقام لأنها أصوات قوية تقرع الآذان فتستقر في الأسماع وتحرك القلوب، وأهل الشرك من أصحاب الأخدود وغيرهم قد حاولوا تثنية المؤمنين عن عقيدتهم بالتعذيب والتحريق، ولم يعتبر مشركو مكة بما حدث لهم، فحاولوا تثنية المؤمنين أيضًا بشتىٰ الطرق الأمر الذىٰ اقتضىٰ خطابهم بلغة التهديد والوعيد، وبأصوات مجهورة تقرع أسماعهم، وفي مقام الترغيب والتبشير والحث علىٰ العمل الصالح اختيرت أصوات رخوة أو متوسطة بين

الشدة والرخاوة أو أصوات رقيقة لينة تتسلل إلىٰ النفوس بهدوء ورفق، فجاءت الأصوات جميعها من صوامت وصوائت متناسبة مع السياق القرآني من جهة، والمقام الذي ترد فيه من جهة أخرىٰ.

٩- ساهمت الصيغ الصرفية المتنوعة من أفعال ومصادر وصيغ مبالغة في السورة الكريمة بدور كبير في الكشف عن الدلالات النفسية للآيات الكريمات التي احتوتها السورة، وقد كشفت الأمثلة التحليلية التي عرضتها هذه الدراسة عن قيمة الدلالة الصرفية في إبراز المعني النفسي الذي ترمي إليه هذه الآيات الكريمات .

١٠- ساهمت الوحدات التركيبية كذلك في إبراز الدلالات النفسية لآيات السورة الكريمة، ومن هذه الوحدات حروف المعاني التي تمثلت في حروف العطف وحروف الجر فقد كشفت الدراسة عن أهميتها وأسباب استعمال بعضها دون البعض، كما كشفت الدراسة كذلك عن أهمية استعمال الأساليب التركيبية المختلفة كأسلوب الاستفهام والقسم والتوكيد والتنكير فقد كان لجميع هذه الوحدات أثر كبير في إظهار الدلالات النفسية لنصوص السورة الكريمة، وقد كشفت الأمثلة التحليلية التي تناولتها هذه الدراسة عن قيمة هذه الوحدات في الكشف عن الدلالات النفسية التي تكمن خلف هذه الأساليب المختلفة في السورة الكريمة.

وفي نهاية هذه الدراسة يمكن القول بأن الخطاب القرآني في سورة البروج كان له وقعه في نفس النبي (ﷺ) بصفة خاصة وفي نفوس المؤمنين بصفة عامة (علىٰ نحو ما بينته هذه الدراسة بالتفصيل) حيث استعان بأداة تعد من أكثر الأدوات تأثيرًا في النفس البشرية ألا وهي اللغة؛ فقد وظف الهدي القرآني من خلال السورة الكريمة كافة الوسائل اللغوية المتنوعة من أصوات ومبان وتراكيب مختلفة؛ لتحقيق منهجه في

التأثير النفسي على الأسماع والقلوب مما يعكس جانبًا من جوانب إعجازه في اللغة التي نزل بها.

ومن هنا يمكنني القول بأن دراسة النص القرآني وتحليله من خلال علم اللغة النفسي من الدراسات الجديرة بالاهتمام وتوجيه أنظار الباحثين إليها؛ لإظهارها الإعجاز اللغوي للنص القرآني.

وآخر دعوانا أن الحمد لله على نعمائه، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه، وعلى آله وصحبه وأوليائه.

قائمة بأسماء المصادر والمراجع

١- **أسلوب القسم الظاهر في القرآن الكريم بلاغته وأغراضه**، سامي عطا حسن، الناشر: جامعة آل البيت، المملكة الأردنية الهاشمية.

٢- **أصوات العربية بين التحول والثبات**، د/ حسام سعيد النعيمي، وزارة التعليم والبحث العلمي، بغداد، طبعة ١٩٨٩م.

٣- **الأصوات اللغوية**، تأليف الدكتور/ إبراهيم أنيس، الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية، طبعة ٢٠١٧م.

٤- **الأصوات اللغوية**، تأليف: د/ محمد علي الخولي، الناشر: دار الفلاح، عمان-الأردن، ١٩٩٠.

٥- **إعراب القرآن وبيانه**، لمحيي الدين بن أحمد مصطفىٰ درويش (المتوفىٰ : ١٤٠٣ هـ)، الناشر: دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية ، الطبعة : الرابعة ، ١٤١٥هـ.

٦- **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (المتوفىٰ: ٧٦١ هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٧- **البحر المحيط في أصول الفقه**، لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفىٰ: ٧٩٤ هـ)، الناشر: دار الكتبي، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٨- **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، تأليف: أبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفىٰ: ١٢٢٤ هـ)، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي - القاهرة، الطبعة: ١٤١٩هـ.

٩- **بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة**، لعبد المتعال الصعيدي (المتوفىٰ: ١٣٩١ هـ)، الناشر: مكتبة الآداب، الطبعة: السابعة عشر: ١٤٢٦ هـ-٢٠٠٥م.

١٠- **البلاغة فنونها وأفنانها**، دكتور/ فضل حسن عباس، الناشر: دار الفرقان للطباعة والنشر-الأردن، الطبعة الرابعة(١٩٩٧م).

١١- **البنية الصرفية وأثرها في الدلالة القرآنية(سورة الواقعة نموذجاً)**، دكتور أحمد أبو بكر الصديق، مجلة كلية اللغة العربية بالمنوفية، العدد السابع والثلاثون، إصدار يونيو٢٠٢٢م.

١٢- **التبيان في أقسام القرآن**، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧ هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان.

١٢- **التحرير والتنوير**، تأليف: محمد الطاهر ابن عاشور التونسي (ت : ١٣٩٣ هـ)، الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس، طبعة: ١٩٨٤هـ.

١٣- **التشويق في الحديث النبوي طرقه وأغراضه**، د/ بسيوني عبد الفتاح فيود، الناشر: مطبعة الحسين الإسلامية، الطبعة الأولى ١٩٩٣م.

١٤- **التعريف والتنكير بين الدلالة والشكل**، أحمد السيد نحلة، دار التوني للطباعة والنشر، ١٩٩٧م.

١٥- **التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم**، دكتور عبد العظيم المطعني،١/ ٤، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثالثة (٢٠١١م).

١٤- **التفسير الحديث** [**مرتب حسب ترتيب النزول**]، تأليف: دروزة محمد عزت، الناشر: دار إحياء الكتب العربية – القاهرة، الطبعة: ١٣٨٣هـ.

١٥- **تفسير القرآن العظيم**، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت: ٧٧٤ هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

١٦- **التفسير القرآني للقرآن**، عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠ هـ)، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة، دون طبعة.

١٧- **التفسير الكبير**، تأليف: أبي عبد الله محمد الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦ هـ)، ٣١/ ١٠٦، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠هـ.

١٨- **تفسير المراغي**، تأليف: أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١ هـ)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦ م.

١٩- **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، تأليف: مصطفى مسلم، الناشر: جامعة الشارقة، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، طبعة يونيو ٢٠١٠.

٢٠- **تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)**، تحقيق: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨ م.

٢١- **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، لفضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة: الأولىٰ مارس ١٩٩٨ .

٢٢- **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، تأليف: مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة: الأولىٰ، (١٣٩٣هـ = ١٩٧٣ م) - (١٤١٤هـ = ١٩٩٣ م).

٢٣- **تفسير جزء عم**، تأليف: د مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، الناشر: دار ابن الجوزي، الطبعة: الثامنة، ١٤٣٠هـ.

٢٤- **تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**، الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، تحقيق: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، الناشر: دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١ م.

٢٥- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تأليف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفىٰ: ١٣٧٦ هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا ، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولىٰ ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.

٢٦- **التيسير في أحاديث التفسير**، تأليف: محمد المكي الناصري (ت: ١٤١٤ هـ)، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥ م.

٢٧- **التيسير في أحاديث التفسير**، لمحمد المكي الناصري (المتوفىٰ: ١٤١٤ هـ)، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥ م.

٢٨- **الحدود في علم النحو**، أحمد بن محمد بن محمد البجائي الأُبَّذيُّ، شهاب الدين الأندلسي (المتوفىٰ: ٨٦٠ هـ)، تحقيق: نجاة حسن عبد الله نولي، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد ١١٢ - السنة ٣٣ - ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠١م.

٢٩- **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، لعبد القادر بن عمر البغدادي (المتوفى: ١٠٩٣ هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧ م.

٣٠- **الخصائص**: تأليف: أبي الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت: ٣٩٢ هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: الرابعة(د-ت).

٣١- **الدر النثير والعذب النمير**، تأليف: عبد الواحد بن محمد بن علي ابن أبي السداد الأموي المالقي (ت: ٧٠٥ هـ)، تحقيق ودراسة: أحمد عبد الله أحمد المقرئ، الناشر: دار الفنون للطباعة والنشر - جدة، طبعة ١٤١١هـ - ١٩٩٠ م.

٣٢- **دراسات في فقه اللغة**، د. صبحي إبراهيم الصالح (المتوفى: ١٤٠٧ هـ)، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة الأولى ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م.

٣٣- **دراسة صوتية دلالية في السور المكية والمدنية**، سورتا الحشر والملك نموذجًا، رسالة ماجستير إعداد: منى محمد وحيد، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح، فلسطين، ٢٠٢٠م.

٣٤- **دلالات سورة النصر في ضوء علم اللغة النفسي**، د/ مروة محمد على إبراهيم، بحث منشور في مجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة، العدد الثاني والأربعون.

٣٥- **دلالة الألفاظ** تأليف الدكتور/ إبراهيم أنيس، الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الخامسة ١٩٨٤م.

٣٦- **الدلالة الصرفية وأثرها في تحديد معاني الكلمات**، مقال نشر على موقع https://bahethoarabia.com/dlalhsrfih، ٩ديسمبر٢٠٢٤م.

٣٧- **الدلالة الصوتية والصرفية في سورة يوسف في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ومناهجها**، دكتورة/ نادية رمضان النجار، ص٢، بحث منشور بكتاب المؤتمر العلمي التاسع بكلية دار العلوم ٢٠٠٧م.

٣٨- دلالة الفعل الماضي في القرآن الكريم، لطيف نجاح شهيد القصاب، بحث ماجستير نشر في مجلة كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة بابل، العراق، ٢٠١١م.

٣٩- **دلائل الإعجاز في علم المعاني**، لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١ هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر، الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة، الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٤٠- **روح البيان**، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي (المتوفى: ١١٢٧ هـ)، الناشر: دار الفكر - بيروت.

٤١- **الزمن النحوي في اللغة العربية**، كمال رشيد، عالم الثقافة، طبعة ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٨ م.

٤٢- **سورة البروج دراسة تحليلية موضوعية**، رسالة ماجستير إعداد/ إبراهيم البشير، الناشر: جامعة المدينة العالمية- ماليزيا، ٢٠١١م.

٤٣- **السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة**، تأليف: محمد بن محمد بن سويلم أبي شُهبة (ت: ١٤٠٣ هـ)، الناشر: دار القلم - دمشق، الطبعة: الثامنة - ١٤٢٧هـ.

٤٤- **سيكولوجية اللغة واللسانيات المعاصرة دراسة في مبادئ البحث اللغوي النفسي**/ عزيز كعواش، ص٤٥١، ٤٦٠، مجلة الباحث في العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة قاصدي مرباح - ورقلة، ٢٠٢١ م.

٤٥- **شذا العرف في فن الصرف**، أحمد بن محمد الحملاوي (المتوفى: ١٣٥١ هـ)، تحقيق: نصر الله عبد الرحمن نصر الله، الناشر: مكتبة الرشد الرياض.

٤٦- **شرح طيبة النشر في القراءات**، لشمس الدين أبي الخير ابن الجزري (المتوفى: ٨٣٣ هـ)، تحقيق: الشيخ أنس مهرة، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م.

٤٧- **صفوة التفاسير**، محمد علي الصابوني، الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧ م.

٤٨- **الطراز المتضمن لأسرار البلاغة**، يحيي بن حمزة بن علي بن إبراهيم اليمني، دار الكتب العلمية بيروت، طبعة ١٩٨٢م.

٤٩- **ظاهرة نقل الدلالة في المجموعة القصصية)الزهور تبحث عن آنية لعبد العزيز مشري (دراسة في ضوء معطيات علم اللغة النفسي**، لعبد العزيز مشري دراسة

في ضوء علم اللغة النفسي، د/ أشرف محمد ساعدي، بحث منشور في كلية الآداب جامعة أسيوط ، العدد ٧٧ ، لسنة ٢٠٢١م.

٥٠- **علم الدلالة** للدكتور/ أحمد مختار عمر، الناشر: عالم الكتب ـ القاهرة، الطبعة الأولىٰ ١٩٥٨م.

٥١- **علم اللغة النفسي في التراث العربي**، تأليف : دكتور جاسم علي جاسم ، الناشر: مجلة الجامعة الإسلامية عدد١٥٤.

٥٢- **علم اللغة النفسي مناهجه ونظرياته وقضاياه**، تأليف: جلال شمس الدين، الناشر: مؤسسة الثقافة الجامعية، الاسكندرية، بدون طبعة.

٥٣- **علم اللغة النفسي**، عبد العزيز إبراهيم العصيلي، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، طبعة ٢٠٠٦م.

٥٤- **علم اللغة بين القديم والحديث**، تأليف الدكتور/ عبد الغفار حامد هلال، الناشر: مطبعة الجبلاوي، القاهرة، الطبعة الثالثة(١٩٨٩م).

٥٥- **علم اللغة مقدمة للقارئ العربي** ، تأليف: محمود السعران، الناشر: دار الفكر العربي، طبعة ٢ – القاهرة ١٩٩٧.

٥٦- **علم النفس اللغوي**، تأليف: دكتورة / نوال محمد عطية ،الناشر: المكتبة الأكاديمية، القاهرة، الطبعة: الثالثة١٩٩٥م.

٥٧- **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفىٰ: ٨٥٠ هـ)، المحقق: الشيخ زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت، ومحاسن التأويل

٥٨- **فقه اللغة** تأليف/ الدكتور إبراهيم أبو سكين، ص١٦، طبعة الأمانة ١٤٠٤هـ.

٥٩- **في ظلال القرآن**، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفىٰ: ١٣٨٥ هـ)، الناشر: دار الشروق – بيروت– القاهرة، الطبعة: السابعة عشر – ١٤١٢ ه.

٦٠- **الكافية في علم النحو**، لابن الحاجب جمال الدين بن عثمان بن عمر بن أبي بكر المصري الإسنوي المالكي (ت: ٦٤٦ هـ)، تحقيق: الدكتور صالح عبد العظيم الشاعر، الناشر: مكتبة الآداب – القاهرة، الطبعة: الأولىٰ، ٢٠١٠ م.

٦١- **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، تأليف: أبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي (ت: ٤٢٧ هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولىٰ ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢ م.

٦٢- **كيف تقرأ القرآن الكريم برواية الإمام قالون عن نافع المدني**، تأليف: المختار المشري المقروش، الناشر: فاليتا- مالطا – ، طبعة: ٢٠٠١.

٦٣- **لطائف الإشارات = تفسير القشيري**، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفىٰ: ٤٦٥ هـ)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، الطبعة: الثالثة.

٦٤- **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، لأبي الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب (المتوفىٰ: ٦٣٧ هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر – بيروت، طبعة: ١٤٢٠هـ.

٦٥- **محاسن التأويل**، تأليف: محمد جمال الدين ابن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفىٰ: ١٣٣٢ هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولىٰ – ١٤١٨هـ.

٦٦- **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، تأليف: أبي محمد الحسين الفراء البغوي الشافعي (ت : ٥١٠ هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة : الأولىٰ ، ١٤٢٠ هـ.

٦٧- **معاني القرآن وإعرابه**، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفىٰ: ٣١١ هـ)، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولىٰ ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

٦٨- **معجم العين**، تأليف: الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي (ت: ١٧٠ هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، دون طبعة.

٦٩- **من بلاغة القرآن**، لأحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي (المتوفىٰ: ١٣٨٤ هـ)، الناشر: نهضه مصر – القاهرة، ٢٠٠٥م.

٧٠- **منار الهدى في بيان الوقف والابتدا** ، تأليف: أحمد بن عبد الكريم الأشموني المصري الشافعي (المتوفى: نحو ١١٠٠ هـ)، تحقيق: شريف أبو العلا العدوي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م.

٧١- **الميزان في أحكام تجويد القرآن**، تأليف: فريال زكريا العبد، الناشر: دار الإيمان – القاهرة، دون طبعة.

٧٢- **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥ هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، دون طبعة.

٧٣- **الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر**، تأليف: محمد محمد محمد سالم محيسن (المتوفى: ١٤٢٢ هـ)، الناشر: دار الجيل – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧ م.

٧٤- **الواضح في علوم القرآن**، لمصطفى ديب البغا، محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب / دار العلوم الانسانية – دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨ م.

٧٥- **الوافي في كيفية ترتيل القرآن الكريم**، تأليف: أحمد محمود عبد السميع الشافعي الحفيان، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م.

٧٦- **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي (المتوفى: ٤٦٨ هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار النشر: دار القلم ، الدار الشامية – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.